منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (3065) السنة الحادية عشرة - الأربعاء (23) نيسان 2014

WWW. almadasupplements.com

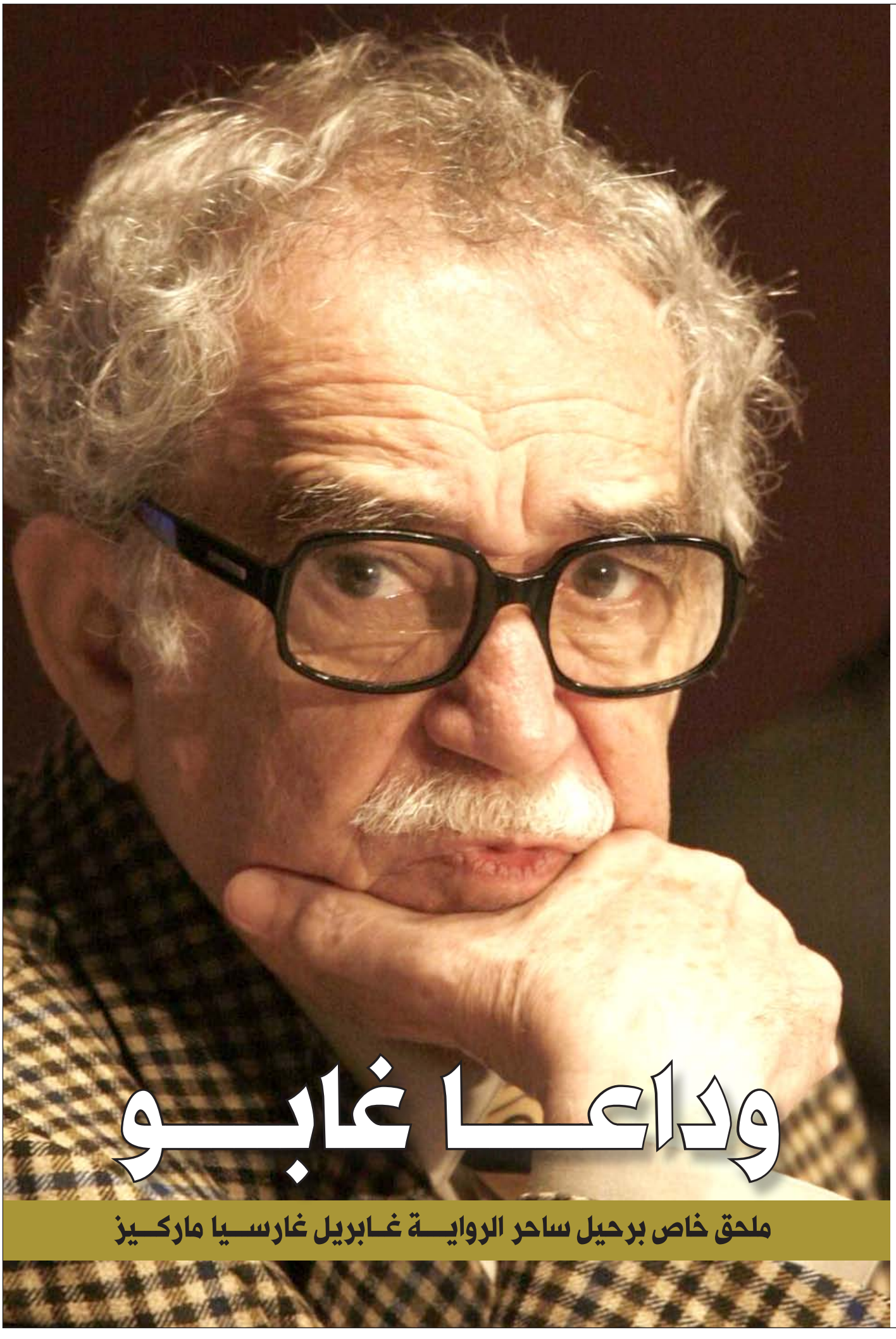

MARQUEZ

وداعا غابو

ملحق خاص برحيل ساحر الرواية غابريل غارسيا ماركيز

رحيل صانع الحكايات

علي حسين

"اسمي أيها السادة هو غابرييل غارسيا ماركيز. آسف فانا شخصيا لا يروقني هذا الاسم لأنه سلسلة من كلمات عادية لم استطع قط ان اربطها بنفسي. ولدت في بلدة اراكاتاكا في كولومبيا... وما أزال غير آسف على ذلك. انني كاتب هيّاب. مهنتي الحقيقية مهنة ساحر، لكنني ارتبك ارتباكا شديدا وانا احاول القيام ببعض الحيل التي اضطر الى ان ألوذ بها من جراء عزلة الأدب.

على كل حال ان كلا النشاطين يقود الى الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامي منذ ان كنت طفلا: ان يحبني أصدقائي اكثر.. ان كوني كاتبا من الكتّاب ليس سوى إنجاز استثنائي لأنني رديء جدا في الكتابة، وعلي ان اخضع نفسي لانضباط بشع كي انجز كتابة صفحة واحدة.. انني اناضل جسديا مع كل كلمة، لكن الكلمة هي التي تفوز في الغالب".

هكذا تحدث المعلم غارسيا ماركيز"الذي رحل امس عن عالمنا الى قرائه في السيرة الذاتية التي اختار لها اسما مثيرا عشت لاروي ، مسدلا الستار على حياة استمرت ٨٧ عاما قضاها في تقديم روايات مدهشة وشخصيات ستظل ترافقنا كما لو انها جزء من ذكرياتنا

في الخامسة والعشرين من عمره ساقته دروب الحياة الى عالم حافل بالخيال ليقدم أول أعماله الروائية "عاصفة الأوراق"فيتلقى بسببها رسالة من دار النشر يخبرونه فيها، انه ليس لديه أي مستقبل في كتابة الرواية، مقترحين عليه أن يبحث عن مهنة أخرى.

المهنة الأخرى كانت الإصرار على الكتابة ليقدم في النهاية عالما،، هو مزيج من السيرة الذاتية والخيال الجامح، يتداخلان ويتشابكان في أبعاد مختلفة. وهو ما يتضح بكل روعة في «مئة عام من العزلة"و «الجنرال في متاهته"و «خريف البطريرك"و «الحب في زمن الكوليرا» و «قصة موت معلن».

ولانه يعشق الحكايات الغريبة فقد كان عالمة يتكون من كافكا، و فوكنر، و كونراد، الى جانب جدته، التي يعترف بان "نصف الحكايات التي بدأت بها تكويني سمعتها من جدتي. وهي لم تسمع مطلقاً أي كلام عن الخطاب الأدبي ولا عن تقنيات السرد ولا عن أي شيء من هذا. لكنها تعرف كيف تهيئ ضربة مؤثرة وكيف تخبئ ورقة آس في كمّها خيراً من الحواة الذين يخرجون مناديل وأرانب من القبعة" يروي ماركيز لنا كيف بدأ حياته صحافيا بائسا ومغمورا: «كانت الصحيفة تدفع لي ٣ بيزوس عن الخبر الذي اجيء به و ٤ بيزوس عن كتابة الافتتاحية، ولكن فقط عندما يغيب كاتبها الأصلي. ولم يكن ذلك كافيا بالطبع. وعندما حاولت ان اطلب قرضا آخر من المدير، ذكرني بأنني مدين بثمن مائة خبر يومي.

ظل نموذج الحاكم المستبد يؤرق ماركيز طوال حياته وهو يتساءل كيف يُمكن لشخص يحكم بسلطات مطلقة أن ينجو من الفساد الذي تولده هذه السلطة المطلقة نفسها؟، فأراد ان يجيب عليه من خلال روايته"خريف البطريرك"حيث نجد صفحاتها كلها جوابا على سؤال من هو الدكتاتور؟ يقول ماركيز لصديقه يلينيو مندوزا"ما من ديكتاتور يمكنه أن يحكم إن لم تكن هناك بطانة تهتف لكل فعل يقوم به، لا تنظر إليه إلا عبر صورة رسمتها له، على رغم تناقضها الكلي مع صورته الحقيقية عند الناس".

حتى ظهور ملحمة ماركيز الشهيرة"مائة عام من العزلة" ، كان العالم يتجه بأنظاره الى كتاب فرنسا او امريكا أو اسبانيا وما ان أطل هذا الكولمبي الساحر من عالمه الحزين والغارق في أودية امريكا اللاتينية، حتى تغيرت رفوف الكتب في اشهر مكتبات العالم وتسابقت الصحف والمجلات لنشر صور جديدة لأدب جديد لم يعد الجدل فيه يدور حول الخلاف بين الرمزية والكلاسيكية. ولم تعد البنيوية تحتل المركز الاول في نقاشات المقاهي وصالونات الأدب فقد حل مكانها اناس بسطاء من امثال اورليانو وربيكا والغجري مليكاديس واورسولا.

بتواضع الكبار يكتب المعلم: للكهول سأعلّمهم أن الموت لا يأتي مع الشيخوخة بل بفعل النسيان.، لقد تعلمت منكم الكثير أيها البشر، تعلمت أن الجميع يريد العيش في قمة الجبل غير مدركين أن سرّ السعادة تكمن في تسلقه.

تعلّمت أن الإنسان يحق له أن ينظر من فوق إلى الآخر، فقط حين يجب أن يساعده على الوقوف.

قل دائماً ما تشعر به وافعل ما تفكّر فيه.

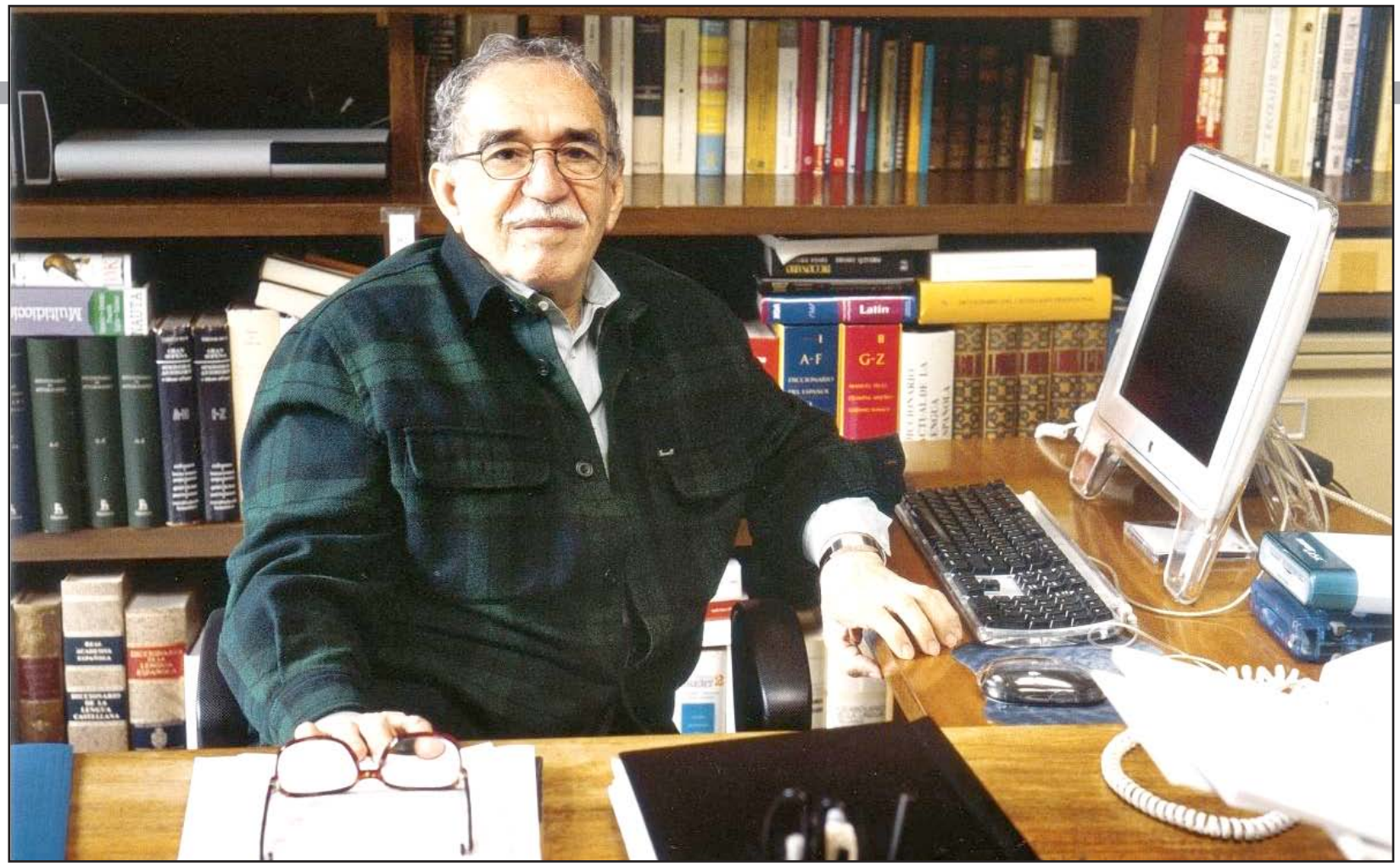

كولومبيا تنكس الأعلام.. والصحافة تكشف سر زوجته المصرية

ماركيز.. فتى الواقعية السحرية يرحل عن 87 عاما

بوجوتا ـ وكالات:

توفى الكاتب الكولومبى الشهير جابريل جارسيا ماركيز عن عمر يناهز ٨٧ عاما، بعد صراع طويل مع مرض السرطان طوال ١٥ عاما.

واعلن الرئيس الكولومبى خوان مانويل سانتوس وفاة ماركيز بمنزله فى مكسيكو سيتى.

واعلن سانتوس فى كلمة مقتضبة عبر التلفزيون الحداد الوطنى لمدة ثلاثة ايام على ماركيز، وقال: «تخليدا لذكرى غابريال غارثيا ماركيز اعلنت الحداد الوطنى لمدة ثلاثة ايام».

وامر الرئيس أيضا بـ«تنكيس الاعلام فى كل المؤسسات العامة»، وقال «نأمل ان يفعل الكولومبيون الشىء نفسه فى منازلهم».

وكان ماركيز يقيم فى المكسيك منذ العام ١٩٦١ مع فترات متقطعة من الاقامة فى كولومبيا واسبانيا وكوبا، وقد انسحب منذ سنوات من الحياة العامة.

وقالت صحيفة «لاتين تايمز" الأمريكية إن الكاتب الكولومبى الحائز جائزة نوبل بقى فى الفترة الأخيرة بالمستشفى بسبب الجفاف وعدوى الجهاز التنفسى ومشاكل بالمسالك البولية، ولكن تم إخراجه من المستشفى بعد أن اصبحت حالته ضعيفة للغاية.

وفاز ماركيز بجائزة نوبل فى عام ١٩٨٢ وأشهر رواياته مائة عام من العزلة (١٩٦٧)، «خريف البطريرك" (١٩٧٥)، «الحب فى زمن الكوليرا» (١٩٨٥)، وتعتبر مؤلفاته بالإسبانية هى الأكثر شعبية منذ الكاتب ميجيل دى سرفانتس فى القرن ١٧.

ولد ماركيز فى أراكاتاكا، فى كولومبيا فى ٦ مارس١٩٢٧ وقضى معظم حياته فى المكسيك وأوروبا.

وتضاربت الأقاويل حول تاريخ ميلاده هل كان فى عام ١٩٢٧ أم فى عام ١٩٢٨، إلا أن الكاتب نفسه أعلن فى كتابه «عشت لأروى" عام ٢٠٠٢ عن تاريخ مولده عام ١٩٢٧.

يعرف جارسيا ماركيز عائليا وبين أصدقائه بلقب جابيتو، فيما لقبه إدواردو ثالاميا بوردا، مساعد رئيس التحرير صحيفة الإسبكتادور، باسم جابو، بعد حذف المقطع الأخير.. ويعد جارسيا ماركيز من أشهر كتاب الواقعية العجائبية، فيما يعد عمله «مئة عام من العزلة" هو الأكثر تمثيلا لهذا النوع الأدبى.

حصل الكاتب الكولومبى على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢ تقديرا للقصص القصيرة والروايات التى كتبها، والتى يتشكل بها الجمع بين الخيال والواقع.

ونال ماركيز العديد من الجوائز والأوسمة طوال مسيرته الأدبية مثل وسام النسر الأزتيك فى عام ١٩٨٢، وجائزة رومولو جايجوس فى عام ١٩٧٢، ووسام جوقة الشرف الفرنسية عام ١٩٨١.

تعرف ماركيز على ميرثيديس بارشا، ابنة أحد الصيادلة فى حفل راقص للطلاب وقرر وقتها أن يتزوجها بعد الانتهاء من دارسته. وعقد ماركيز زواجه على ميرثيديس «التى كان قد أبدى اعجابه بها وهو فى سن ١٣ عاما» فى مارس عام ١٩٥٨.

ووصف أحد كتاب السير الذاتية ميرثيديس بأنها امرأة طويلة وجميلة ذات شعر بنى يرتخى على كتفيها، وحفيدة أحد المهاجرين المصريين، وهو ما يبدو جليا فى عظامها العريضة وعيونها الواسعة ذات اللون البنى.

فيما كان يشير لها ماركيز باستمرار وبفخر؛ وذلك عندما تحدث عن صداقته مع فيدل كاسترو، حيث قال: «فيدل يثق بميرثيديس أكثر حتى مما يثق بى».. ولدى ماركيز ولدان رودريجو الذى ولد عام ١٩٥٩، ويعمل مخرجا سينمائيا والثانى جونثالو،والذى ولد عام ١٩٦٢ ويعمل حاليا مصمما جرافيكيا فى مدينة مكسيكو.

لا يعرف المعجبون بماركيز، ولا معظم المطلعين على سيرته الذاتية، أن أرملته ميرثيدس بارشا باردو التى تعرف إليها حين كان عمرها ١٣ سنة، وهى حفيدة مهاجر مصرى من أصل لبنانى كان يملك صيدلية فى بلدة «ماغانغى" بولاية بوليفار الكولومبية، بحسب ما جمعت «العربية.نت" من معلومات عن ماضيها.

كانت لماركيز، علاقة بطريقة ما، ويومية مباشرة، بالثقافة العربية وتقاليد الشرق من الجذور.. كان ذلك فى مطبخ بيته وفى ما كان يسمعه من أمثال وحكايات من أرملته المصرية ـ اللبنانية، ونرى ذلك واضحا فى بعض روايته، وأهمها «مائة عام من العزلة».

ويذكر صحافى كولومبى كتب عن حياة ماركيز أن جد زوجته جاء الى كولومبيا مهاجرا من الإسكندرية، وكان قبطيا اعتاد أن يشرب القهوة التركية «ثم يقلب الفنجان بعد احتساء ما فيه ليرى البخت والحظ»، على حد تعبيره.

كما ذكر فى معرض حديثه عن الصداقة القوية التى كانت تربط ماركيز بفيدل كاسترو، من أن الحاصل على نوبل «رآه ينظر الى زوجته أكثر مما كان ينظر الى ماركيز نفسه» فى إشارة الى إعجاب الزعيم الكوبى بجمالها.

وتعرف ماركيز فى مدينة «سوكر" الكولومبية، حيث كان يقيم والداه وبقية إخوته، الى ميرثيدس، وكان وقتها طالبا، ثم تطور التعارف الى وعد بينهما على الزواج، مع أنه كان بعمر ١٣ سنة، وحين أنهى دراسته فى ١٩٥٨ تزوجها، وأثمر الزواج بعد عام عن أول ابن، وهو رودريغو الذى أصبح سينمائيا ويقيم حاليا فى الولايات المتحدة، ثم بعد عامين ولد الثانى والأخير، وهو غونزالو، مصمم الغرافيك المقيم فى المكسيك.

والاسم الكامل لأرملة ماركيز هو Mercedes Raquel Barcha Pardo والاسم باردو مستمد من والدتها راكيل باردو لوبيز، فى حين أن «بارشا» مستمد من جدتها، الأم الكولومبية لوالدها Demetrio Barcha Velilla ابن المهاجر الى كولومبيا Elias Facure المولود فى الاسكندية من أب لبنانى من عائلة فاخورى وأم مصرية، والذى حصل فى ١٩٣٢ على الجنسية الكولومبية، أى قبل ٦ أشهر من ولادة ابنته ميرثيدس، وامتد به العمر الى درجة أنه توفى بعمر ١٠٠ عام تقريبا.

والقليل جدا ذكرته أرملة ماركيز عن جدها اللبنانى ـ المصرى، ومنه قولها لمجلة كولومبية عثرت فيها «العربية.نت" على مقتطفات لمقابلة قديمة معها: «جدى كان مصريا خالصا (..) كان يحملنى على كتفيه لألعب، وكذلك فى حضنه. وكان يغنى لى بالعربى، ودائما يرتدى القطنيات البيضاء، وكان يملك ساعة من ذهب ويضع قبعة قش على رأسه، وتوفى عندما كان عندى ٧ سنوات تقريبا، وهذا كل ما أذكره عنه»، وفق تعبيرها.

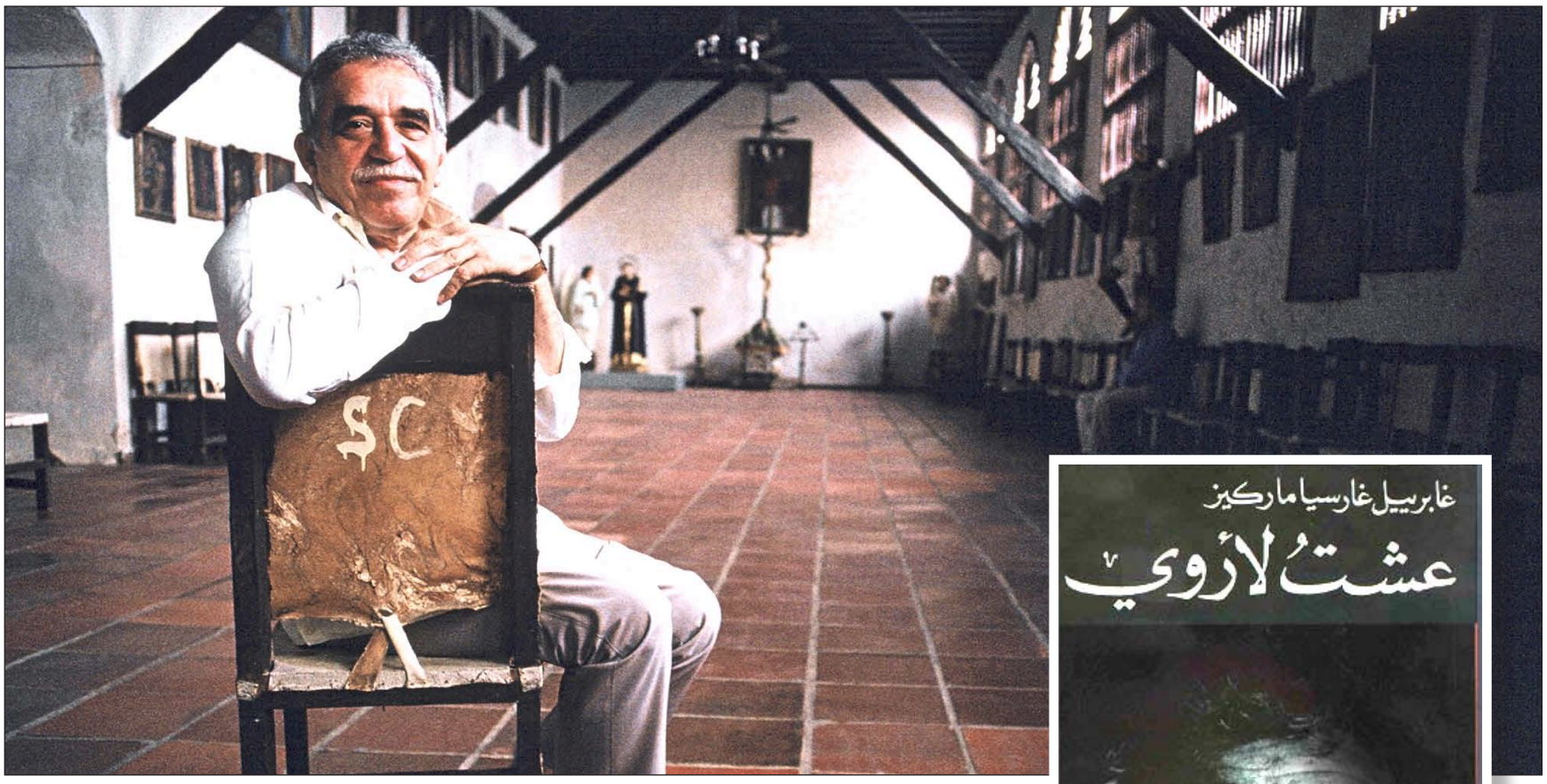

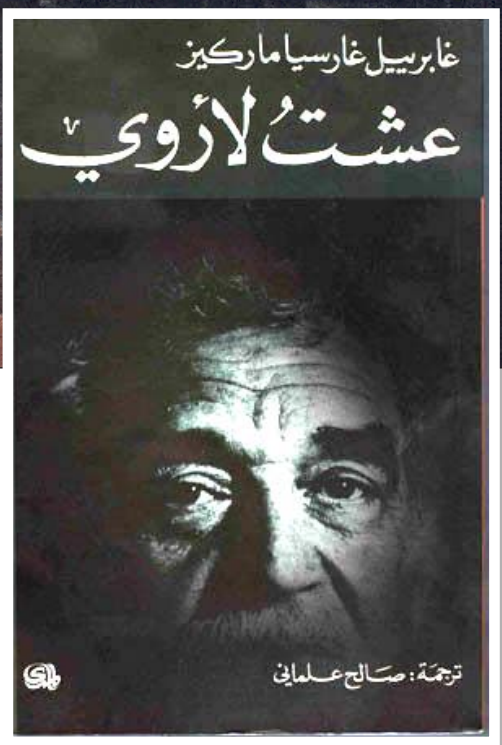

عشــت لأروي

مذكرات الأديب الكولومبى تكشف ألاعيب الطفل السحريــة

(١)

من عرفونى، وأنا فى الرابعة من عمرى، يقولون إننى كنت شاحبًا، مستغرقًا، فى التأمل، وإننى لم أكن أتكلم إلا لأروى هذيانات. ولكن حكاياتى، فى معظمها، كانت أحداثا بسيطة من الحياة اليومية، اجعلها أنا أكثر جاذبية بتفاصيل متخيلة، لكى يصغى إلىّ الكبار. وكانت أفضل مصادر إلهامى، هى الأحاديث التى يتبادلها الكبار أمامى، لأنهم يظنون أننى لا أفهمها، أو التى يشفرنها عمدا، كيلا أفهمها. لكن الأمر كان خلاف ذلك: فقد كنت امتصها مثل اسفنجة، وأفككها إلى أجزاء، وأقلبها لكى أخفى الأصل، وعندما أرويها للأشخاص أنفسهم الذين رووها، تتمكلهم الحيرة للتوافق الغريب بين ما أقوله، وما يفكرون فيه.

(٢)

أول ما أثر فىّ، هو الحرية التى لا يمكن تصورها. فكل ما كان ينقصنا، نحن الأطفال، وكل ما كنا نتلهف إليه، صار فجأة فى متناول أيدينا. كل واحد يأكل عندما يجوع، وينام فى أى وقت يشاء. ولم يكن من السهل الاهتمام بأحد، إذ إن الكبار، على الرغم من صرامة قوانينهم، كانوا يمضون غارقين فى أوقاتهم الشخصية التى تكاد لا تكفيهم للاهتمام بأنفسهم. كان شرط الأمان الوحيد للأطفال أن يتعلموا السباحة قبل أن يتعلموا المشى، لأن القرية مقسومة إلى شطرين، قناة مياه قاتمة تُستخدم فى الوقت نفسه، كمجرى مائى ومجرور صرف صحى.

(٣)

كان إدمان قراءة كل ما يقع فى يدىّ، يشغل وقت فراغى ووقت الدروس كله تقريبا. وكنتُ قادرا على إلقاء قصائد كاملة من القائمة الشعبية التى كانت شائعة آنذاك، فى كولومبيا، وأجمل أشعار العصر الذهبى والرومانسية الإسبانية. وقد حفظت معظمها من نصوص منهاج المدرسة نفسه. وكانت تلك المعارف غير المتوقعة فى مثل سنى، تستثير غيظ المعلمين. فكلما وجهوا لى فى أحد الدروس سؤالا صاعقا، أرد عليهم بشاهد أدبى أو بفكرة مستمدة من الكتب، لم يكونوا فى وضع يؤهلهم لتقييمها. وقد قال ذلك الأب ميخيا: «إنه طفل مغرور يكرر أقوالا» كيلا يقول: لا يطاق. لم أكن مضطرا قط، إلى اجهاد ذاكرتى، ذلك أن القصائد وبعض مقاطع النثر الكلاسيكى الجيد، تبقى منطبعة فى ذاكرتى، بعد ثلاث أو أربع قراءات. أول قلم حبر حصلت عليه، نلته من الأب الموجه، لأننى تلوت عليه، دون عثرات، عشاريات «الدوار" السبع والخمسين لجاسبار نونيث دى أرثيه. على المنوفى: أصبح علامة مسجلة فى العالم يعتبر جابريل جارثيا ماركيز هو ورفاق جيل الطفرة فى أمريكا اللاتينية، من أبرز ثمرات التواصل الفكرى والثقافى بين الحواضر الأوروبية والحواضر فى أمريكا اللاتينية. وقد بدأ هذا المشوار منذ بداية القرن التاسع عشر عندما استقلت دول أمريكا اللاتينية عن اسبانيا، وبدأ أبناؤها رحلة البحث عن اكتمال ملامح الهوية من خلال النظر فى الموروث التراثى المتمثل فى كثير من الحضارات المحلية مثل الانك والمايا.. ومن خلال الاتصال بالمراكز الفكرية، قطعوا شوطا كبيرا فى سبيل الوصول إلى هذا، وكان السر غاية فى البساطة والعبقرية: التفاعل مع الآخر وليس التقليد. فى القرن العشرين كانت هناك موجتان مهمتان اسهمتا، إضافة إلى عناصر أخرى، فى اثراء الوجدان الثقافى هناك: إحداهما الحرب الأهلية الأسبانية التى أدت إلى هجرة الكثير من العقول إلى تلك الأرض الرحبة، وثانيها الحرب العالمية الثانية، حيث أدى عدم مشاركة أمريكا اللاتينية فيها إلى جعلها ملاذا لمزيد من العقول المهاجرة.

من هنا كانت الطفرة، ذلك الكوكتيل الرائع الذى نرتشف شرابه فى جميع أنحاء العالم، والذى اعتبرته أوروبا العجوز بحق امتدادا لثقافتها وتجديدا لشبابها أو مرحلة أخرى. هنا لا ننسى عبقرية

ماركيز طفلا

نجيب محفوظ الذى نهل من القافلة العالمية واستطاع أن يبدع شجرة السرد القصصى بالعربية ويوصل لها تأصيلا. لهذا كان غابريل واحدا من أبرز هؤلاء: كاتب صحفى وعاشق للسينما ومبدع عوالم أو بالأحرى خالقها، أخذت تنمو وتنتشر بفضل القراء فى كل أنحاء العالم الذين هم فى نظر بعض النقاد اليوم السبب الحقيقى لهذا التوجه.

البعد السياسى والمواقف السياسة هى أمور لا تخفى على القارئ، إذ كانت الثورة الكوبية عنصر جذب لكل كتاب جيل الطفرة، وكان كفاح اليسار الأسبانى خلال عصر فرانكو وانتصاره بعد وفاته أحد هذه العناصر أيضا. كما لا ننسى اسهام الناشرين الأسبان فى انتشار وشهرة هذا الجيل لدرجة أثارت حفيظة المبدعين الأسبان أنفسهم.

غابو، ماركث، أمريكا اللاتينية، هذه كلها أصبحت علامة وماركة مسجلة فى كل أنحاء العالم وعندنا فى العالم العربى أيضا، وأصبحت الأنظمة الديمقراطية فى أمريكا اللاتينية نماذج تحتذى فى الانتخابات وأنظمتها والحلول المقترحة التى يجب أن نتعلم منها.

علينا، فى نهاية المطاف أن ننظر للآداب العالمية من منظورين: العام وهذا هو المهم، أما المنظور الثانى فهو الخاص، وهنا أحذر من مغبة القراءة المبتسرة لأدب الطفرة، حيث يرى النقاد أو بعضهم أنه متأثر بألف ليلة وليلة، قد يكون، ولكن الاصرار عليه مضيعة للوقت، ونرجسية غير محمودة على الاطلاق. وأصبح ماركيز ومائة عام من العزلة مثل ثربانتس ودون كيخوته القرن العشرين.

عن جريدة المصري اليوم

ماركيز روائي "القارة" فرض سلطة المخيلة والالتزام

كم كان غابريال غارسيا ماركيز مصيباً عندما سمّى مذكراته التي صدرت عام ٢٠٠٢ «عشتُ لأروي»، فهو عاش فعلاً ليروي ومات عن ستة وثمانين عاماً، وفي قلبه غصة الرواي الذي كان يحلم بسرد المزيد من الحكايات. فحياته كما يعبّر في هذه المذكرات، لم تكن الحياة التي عاشها بأيامها ولياليها، بل كانت حياة الذكريات التي رواها والحكايات التي كتبها. هذا سر ماركيز، روائي القارة الأميركية اللاتينية، بغرائبها ووقائعها الأغرب من الخيال وتاريخها الموشح بالدم وثوراتها والديكتاتوريين الغريبي الأطوار الذين توالوا على الحكم فيها... إنها فرادة هذا الروائي الذي استهل مساره صحافياً لامعاً ثم أصبح صاحب أشهر عمود، كان ينتظره قراؤه «القاريون» مسمين إياه «عمود غابو»، وهو الاسم الذي كان أصدقاؤه يتودّدون به.

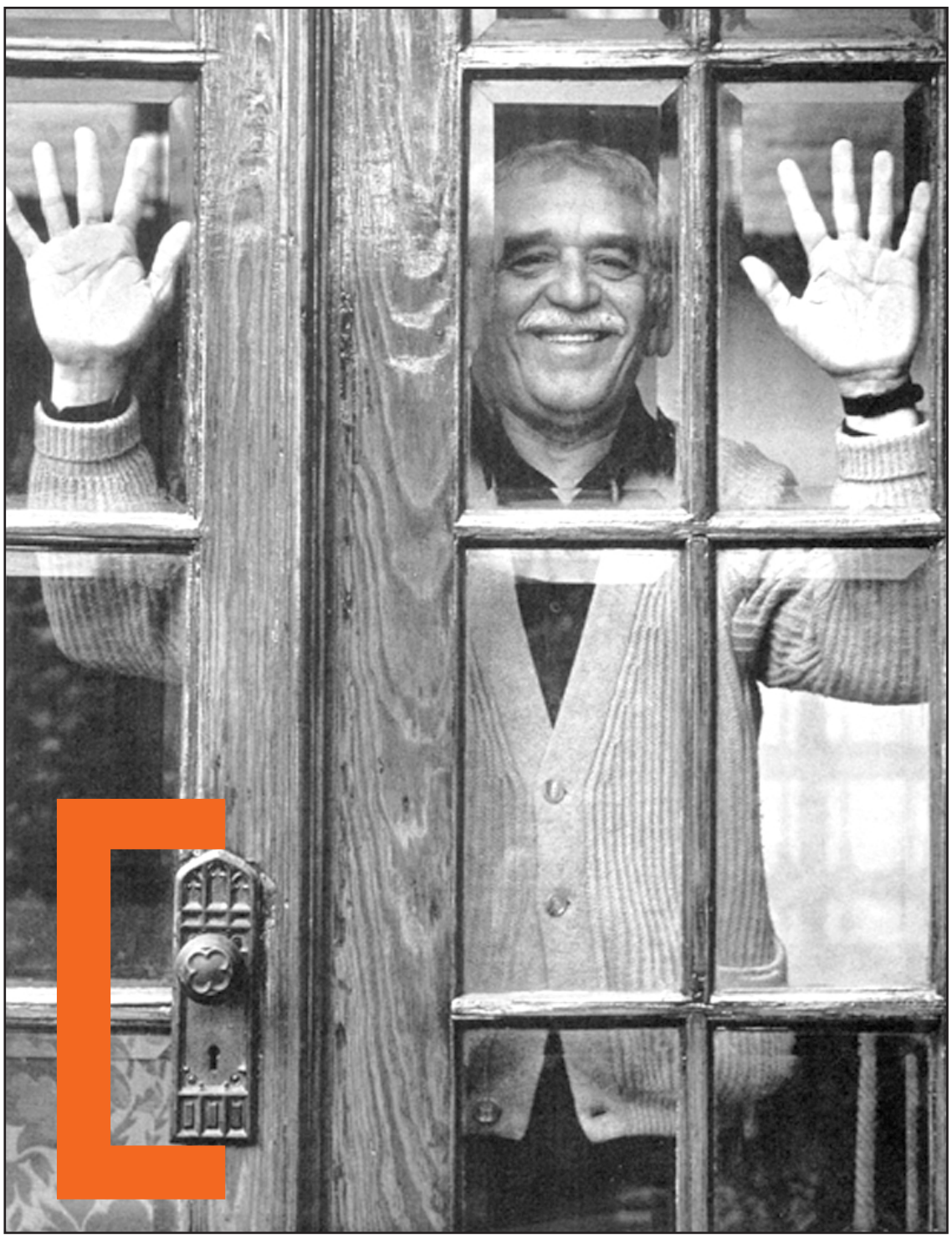

عبده وازن

وفي الصحافة كان ماركيز ايضاً كاتب ريبورتاج متميزاً، وهذا ما ظهر أثره في رواياته ذات الطابع السياسي الهجائي والتاريخي. لكنّ ماركيز كان ماهراً جداً في توظيف مهنة الصحافي في صميم صنيعه الروائي الذي راح ينحو منحى الواقعية السحرية التي سعى الى ترسيخها مع بضعة من الرفاق في القارة، وقد بلغت معه ذروتها في «مئة عام من العزلة»، هذه الملحمة الروائية التي تعدّ من عيون الروايات العالمية الخالدة مثلها مثل «عوليس» لجيمس جويس و«الصخب والعنف» لوليم فولكنر و«موبي ديك"لهرمان ملفيل و"في قلب الظلمات"لجوزف كونراد.

ولعلها مصادفة لافتة ان يرحل ماركيز في الشهر الذي صدرت فيه روايته «مئة عام من العزلة"وهو نيسان (ابريل) ١٩٦٧ وبات عمرها الآن سبعة وأربعين عاماً، وهي الرواية التي صنعت له مجداً وشهرة ما كانا في حسبانه، كما يعترف، وفتحت أمامه الطريق الى جائزة نوبل عام ١٩٨٢ وكرست اسمه روائياً عالمياً صاحب مدرسة وأسلوب غير مألوفين سابقاً. ومع صدور هذه الرواية الرهيبة، التي تجمع بين الفنتازيا والفانتاستيك أو الغرائبية والمأساة والسخرية والعبث اصبحت مدينة «ماكوندو"التي تدور الأحداث فيها وحولها، إحدى أشهر المدن الروائية العالمية، وهي بدت صورة مختصرة عن العالم المتوهم الذي ابدعته مخيلة ماركيز. وفي هذه المدينة التي لا حدود فيها بين الحقيقة والوهم تبرز شخصيات لا تُنسى، لا سيما عائلة «بونديا» التي تمثل بغرابتها ومأسويتها القدر الأميركي اللاتيني، المتخبّط في البؤس والمجهول. ومن هذه العائلة خرج الكولونيل أورليانو بونديا الذي يمثل نموذجاً كاريكاتوريا للديكتاتور الأميركي اللاتيني الذي يتزوج من سبع عشرة امرأة وينجب منهنّ سبعة عشر طفلاً يقتلهم واحداً تلو الآخر.

إلاّ أن ماركيز لا يمكن حصره البتة في «مئة عام من العزلة"التي تُرجمت الى ثلاثين لغة وتخطى مبيعها خمسة وثلاثين مليون نسخة وترجمت الى العربية في أربع صيغ عن الإنكليزية أولاً ثم عن الفرنسية وأخيراً عن الإسبانية مع المترجم صالح علماني. ماركيز هو أيضاً صاحب روايات وقصص غاية في الطرافة والواقعية السياسية كما السحرية، وهي تؤلف بذاتها «قارة» أدبية: «ليس للكولونيل من يراسله»، «الجنرال في متاهته»، «خريف البطريرك»، «الحب في زمن الكوليرا»، «قصة موت معلن» وبطل هذه الرواية البديعة سوري الأصل يُدعى سانتياغو نصار، وهو يقع ضحية مؤامرة تهدف الى قتله وقد أعلن موته منذ مطلع الرواية. أما اللافت فهو اختتام ماركيز «مهنته» الروائية عام ٢٠٠٢ برواية «ذاكرة غانياتي الحزينات"التي سلك فيها سبيل الروائي الياباني الكبير ياسوناري كواباتا في روايته الشهيرة «الجميلات النائمات»، وكان ماركيز كتب مرة ان الرواية الوحيدة التي كان يتمنى ان يكون كاتبها هي «الجميلات النائمات». في هذه الرواية تحتدم ذاكرة ماركيز الإباحية التي يهيمن عليها خريف العمر. لكن ماركيز عكف بعد روايته هذه على اصدار مقالات له ونصوص سياسية، علاوة على مذكراته.

عاش ماركيز حياة بوهيمية متنقلاً بين اوروبا غرباً وشرقاً، وبين بلدان القارة الأميركية اللاتينية وبلغ نيويورك، هو المناضل الثوري الذي آزر حركات التحرر وواجه الثقافة الإمبريالية والكولونيالية، داعياً الى منح الشعوب المستعمرة حرياتها وحقوقها، وهاجياً القوى العظمى اليوم التي تهدد العالم بصواريخها النووية. ونجح ماركيز أيما نجاح في التوفيق بين كونه كاتباً ملتزماً ومنخرطاً في النضال السياسي و«الإنسانوي»، وروائياً متسامياً صاحب مخيلة ساحرة ونفس ملحمي ونزعة تراجيدية تسائل ذاكرة التاريخ وعنف البشر ومأساة الحياة وعزلة الإنسان بصفتها قدراً مجهولاً وغامضاً. وكم كان موقفه جريئاً في إدانة المجازر التي ترتكبها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني وفي توقيع بيانات الاستنكار العالمية في هذا الشأن.

عن صحيفة الحياة اللندنية

الجانب الغرائبي في أعماله ليس هو أهمّ عناصر أدبه

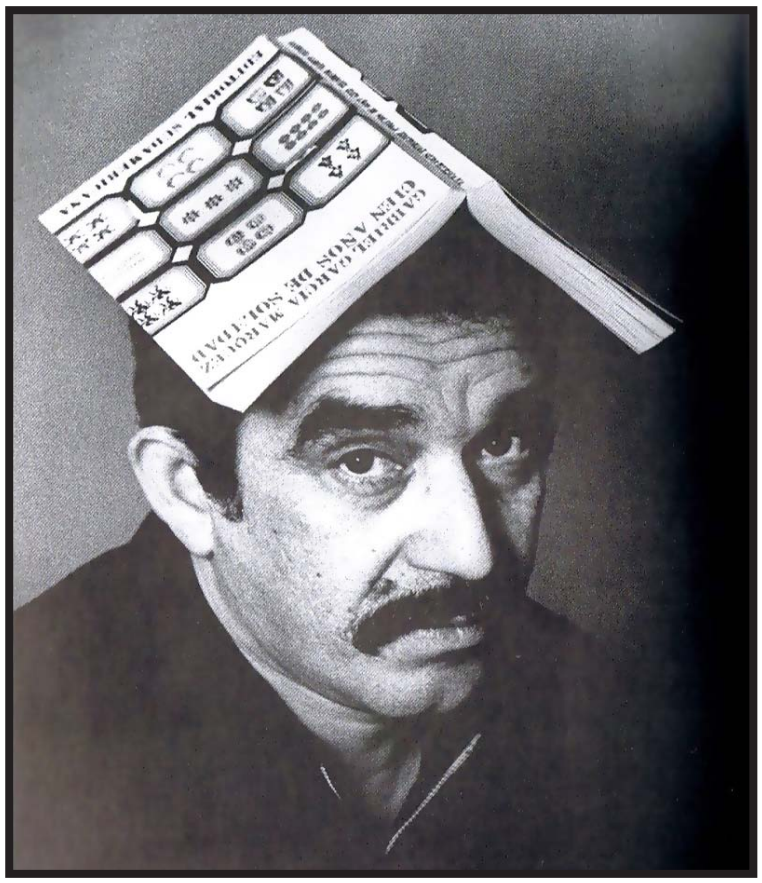

ليس يوماً عاديّاً البتّة هذا اليوم الذي يتوفّى فيه كاتبٌ مثل غابرييل غارسيا ماركيز، وإن رحل عن سبع وثمانين سنة مسربلاً بالمجد ومنعماً بإقرار كامل سكّان المعمورة، محبّين للقراءة كانوا أم لم يكونوا. توفّي ماركيز في السّابع عشر من أبريل الجاري في منزله في مكسيكو، مواصلاً منفاه بمعنى من المعاني، هو الذي عرف المنفى طويلاً وفيه كرّس أسطورته الأدبيّة. وُلد ماركيز في السّادس من مارس ١٩٢٧ في آراكاتاكا، هذه القرية الضّائعة بين مستنقعات السّاحل الكولومبي على البحر الكاريبي وسلسلة سهول مغزوّة بعواصف الغبار. قرية حوّلها في عمله الأكبر «مئة عام من العزلة" إلى «ماكوندو" وسمّاها سكّانها يوم فاز كاتبهم الشّهير بجائزة نوبل للآداب في ١٩٨٢ «عاصمة الأدب العالمي»، عبارة رفعوها على لافتات ملأت سماء المدينة في ذلك اليوم المشهود، وهي بالفعل واحدة من عواصم الأدب المعدودة. ومع انتشار روايته المذكورة دخل اسم «ماكوندو" في لغة أميركا اللاّتينيّة على هيئة صفة، فصار يُطلَق على كلّ ما هو شائق وعجيب نعت «ماكونديّ»، مثلما يُقال عن شيءٍ مُرعب إنّه «دانتويّ» (نسبة إلى دانتي)، أو عن مزاجٍ مفعم بالقلق إنّه «كافكويّ».

كاظم جهاد / باريس

أجيال من المعلّمين

أشياء كثيرة تغيب عن بال قرّاء ماركيز العرب، أوّلها أنّ موهبة كبيرة لا تسقط من السّماء. إنّ أجيالا عديدة تتعاون على صنعها وتتبارى لإكمالها كما يقول ريلكه بخصوص شخصيّة البطل في المرثيّة السّادسة من «مراثي دوينو». وبالنّسبة لماركيز هناك أوّلاً جدّه العقيد المتقاعد في الجيش الكولومبي، والذي كان مناضلاً في حزب ليبرالي ضدّ حزب المحافظين الذي أخفق هو في أن يهزمه. وهناك جدّته المتحدّرة من منطقة غاليسيا الإسبانيّة التي كانت تفيق في اللّيل فزعة وتغمر حفيدها غابرييل بحكاياتها عن الأشباح وكائنات عجائبيّة أخرى تخيفه وفي الأوان ذاته تشحذ مخيّلته. بعد ذلك ستأتي قراءة «ألف ليلة وليلة" ونصوص كافكا لتتمّ انجرافه إلى الواقعيّ الغريب أو الفنطازيّ بلا عودة. ماركيز نفسه صرّح لاحقاً بأنّه عندما قرأ رواية «المسخ» لكافكا وعرف أنّ بالإمكان وضع قصّة عن امتسّاخ إنسان إلى حشرة فهم حقيقة الأدب واعتنقها نهائيّاً. ثمّ توالت القراءات، من فرجينيا وولف إلى همنغواي ففولكنر، وصولاً إلى سابقيه في أميركا اللاّتينيّة ميغيل أنخل أستورياس وأليخو كاربانتييه وألفارو كونكيرو. هنا انخرط في تراث، وأصبح لا من متمّميه بل من جيله الرّياديّ الثاني. وهنا ينبغي أن نتأمّل الحقيقة التّالية: لقد سبق ماركيز إلى نيل جائزة نوبل ثلاثة من أدباء قارّته، هم الشاعرة الشيليّة غابرييلا ميسترال (نالتها في ١٩٤٥) والروائيّ الغواتيمالي ميغل أنخيل أستورياس (ذهبت إليه في ١٩٦٧)، والشاعر الشيلي بابلو نيرودا (فاز بها في ١٩٧١) ومع ذلك فإنّ فوز ماركيز بالجائزة كان له وقعٌ أكبر، فكأنّها المرّة الأولى التي ينال فيها كاتبٌ من أمريكا اللاّتينيّة هذا التّتويج الرّفيع. قد يكون تفسير ذلك اختلاف اللّحظة. نال ماركيز جائزة نوبل بعدما تمكّن هو وفريقٌ من مجايليه من فرض «معجزة» الأدب الأميركي اللاّتيني كحقيقة أدبيّة ناجزة ومعطى في التّاريخ الأدبي لا يمكن نكرانه. كان صُنيعه وصنيع أقرانه هؤلاء بمثابة التّأسيس الثّاني والمُبرَم والأكيد لأدب قارّتهم السّرديّ على نحو خاصّ. ومعه سيدخل إلى حيّز الضّوء جيل كامل من الكبار، بعضهم بعمره وآخرون أكبر سنّاً، من أمثال الأرجنتينيّين بورخيس وكورتاثار، والمكسيكي أوكتافيو باث (سينال جائزة نوبل في ١٩٩٠) والبيروفي ماريو فارغاس يوسا (فاز بها في ٢٠١٠). وبفضله أيضاً نال كتّاب الأجيال التّالية قدراً من الاهتمام أكبر، وهو شيءٌ قد يقرب منه أثر فوز نجيب محفوظ بالجائزة ذاتها على سريان الأدب العربي في سوق الكتاب العالميّة.

تكافل الصحافة والأدب

الشّيء الآخر اللاّفت في سيرة ماركيز وعمله هو تكافل الأدب والصّحافة عنده تكافلاً مبرماً والتزامه هذه المهنة نضالاً وفنّاً ليس يمكن العدول عنهما مهما كان الظّرف. عمله السّرديّ الشّهير الأوّل «يوميّات غريق» صدر أوّلاً عام ١٩٥٥ في أربع عشرة حلقة في صحيفة «الإسبكتادور" الكولومبيّة التي كان يعمل فيها بعد تخلّيه عن دراسة القانون، وهو النّص نفسه الذي استمدّ منه روايته المنشورة تحت العنوان نفسه في ١٩٧٠. وعلى أثر نشر نصّه هذا مسلسلاً في الجريدة اضطرّت إدارتها إلى إرساله إلى أوروبا حماية له من تهديدات العسكر إذ يفضح النّص غرق بارجة عائدة للقوّات البحريّة الكولومبيّة كانت محمّلة ببضائع مهرّبة، ومات فيها غرقاً ثمانية رجال، فيما ظلّ النّاجي الوحيد ينجرف في التيّار أيّاماً، ومن حكايته لما حدث له في البحر كتب ماركيز نصّه هذا. بعد وصول ماركيز إلى باريس بفترة، منع الحكم الديكتاتوري الجريدة من الصّدور فبدأت بالنّسبة للكاتب الشّاب فترة بطالة اضطرّ فيها، كما يسرد في محاوراته المنشورة تحت عنوان «رائحة الغوّافة»، أن يضطر إلى جمع القناني الفارغة لبيعها. في تلك الفترة تعرّف بباريس على مناضلي «جبهة التّحرير الجزائريّة»، ومن أسف أنّ أيّاً من الكتّاب أو الصّحفيّين العرب لم يسعَ، على حدّ عِلمنا، إلى مساءلة ماركيز عن ذكرياته عن تلك الفترة، لاسيّما وأنّه تعرّض بسبب من صداقاته الجزائريّة إلى رقابة مشدّدة من قبل الشّرطة الفرنسيّة. في ١٩٦١، بدأ ماركيز العمل لوكالة الصّحافة الكوبيّة «برنسا لاتينا» وذهب إلى نيويورك في انتظار تأشيرة مرور إلى كندا ليفتح مكتباً للوكالة فيها. وبعد انتظار أسابيع عديدة عبثاً ركب الباص هو وعائلته الصّغيرة إلى المكسيك. هناك عاش الشّطر الأكبر من حياته وهناك قضى نحبه.

ولئن بدا أنّه غادر الصّحافة، إلاّ أنّه عاد إليها عودةً حاسمة فيما بعد. فبعد الرّوايات الكبرى التي أكملت صنيعه الفذّ في «مئة عام من العزلة»، وعلى رأسها «ليس للعقيد من يراسله" و"يوميّات موت معلن» و«خريف البطريرك»، وبعد فوزه بجائزة نوبل أحسّ بضمور هاجس الخلق الرّوائي عنده، وشعر خصوصاً بتعاظم مهامّه النّضاليّة. فعاد إلى الصّحافة وقرّر أن يخوض ضدّ الأنظمة الدّيكتاتوريّة في شيلي وسواها ولنصرة العالم الثّالث، ما سمّاه، الحرب الإعلاميّة. فأسّس في بلده وكالة صحفيّة سمّاها "ألترناتيفاس" («بدائل»)، أطلق فيها العنان لنشاطه الصّحافي والسّينمائي والتّاريخي. وحين عاد إلى الرّواية وكتب «الحبّ في زمن الكوليرا» (١٩٨٥) و«الجنرال في متاهته" (١٩٨٩) و«ذكريات غانياتي الحزينات" (٢٠٠٤) لم تنل هذه الأعمال نجاح نصوصه السّابقة. بيد أنّ مؤسّسته الصّحافيّة أرست تقليداً جديداً في العمل الصّحافي وأنشأت أصواتاً جديدة في معالجة الأنباء والأحداث.

حقيقة الواقعيّة السحريّة

بخصوص عمل ماركيز الأدبيّ، المعروف بصورة واسعة وعلى نحو يجعل من النّافل أن نعيد هنا عرضه، ينبغي الإشارة إلى بضع نقاط أساسيّة. أوّلاً إنّ التّعجيب أو الجانب الغرائبي في أعماله، الذي يجتذب القرّاء العاديّين، ليس هو أهمّ عناصر أدبه. ففي نظره ونظر أقرانه من أدباء قارّته، العجيب هو الواقع نفسه. وكما كتب في مطلع «مئة عام من العزلة»: «كان العالم حديث الولادة، وكانت أشياء كثيرة لم تنل أسماءها بعد، وكان ينبغي لاستحضارها الإشارة إليها بالإصبع». تسمية الأشياء وفهرسة الواقع وما فوق الواقع، والإبانة عن آثار التّجربة وجدّتها على خائضيها شبه الصّاحين شبه المهلوسين، هذا هو تحديد الواقعيّة السّحريّة كما مارسها هو وكما أدركها سابقوه ومجايلوه من أدباء القارّة. أمّا الوصفة التي انتهت إليها الواقعيّة السّحريّة، هذه الكائنات الطّائرة والمشاهد الخوارقيّة التي شاعت من بعد لدى الكثير من كتّاب العالم الثّالث، من الهند إلى أفريقيا فالعالم العربي، فهو بلا شكّ بريء منها.

ما ينبغي التّشديد عليه أيضاً، وفي امتداد الملاحظة السّابقة، هو أنّ «معجزة» أدب ماركيز لا تتمثّل في محتويات سرده وطبيعة ما يحكي من تجارب وما يصف من أشخاص، بل في شاكلة السّرد واستخدام اللّغة وخصوصاً في معاملة الشّكل ومعالجة الإيقاع. لا أعلم كيف تعامل جميع المترجمين العرب مع كتابات ماركيز من هذه النّاحية، بيد أنّ التّرجمة الوحيدة التي اطّلعت عليها هي ترجمة الشّاعر والرّوائي التونسي محمّد علي اليوسفي لرواية «خريف البطريرك». فمع أنّه ترجمها عن الفرنسيّة فقد تمكّن، في نظري، بحسّه الأدبيّ العالي ورصانة لغته من تقديم بدائل مقنعة وشديدة الإيحاء للبناء الشّعري والموسيقي للغة ماركيز في هذه الرّواية. وينبغي هنا التّذكير – وهو ما سبقت إليه باسكال كازانوفا في نعيها للكاتب في صحيفة «لوموند" أوّل من أمس – بأنّ هذا الانهمام بالإيقاع والشّكل قد استلهمهما ماركيز وزملاؤه الآخرون من الكاتب الأميركي الشمالي ويليام فولكنر الذي ابتكر في عمله الرّوائي ملحمة الجنوب الأميركي جنوب حافل بالزّنوج والخلاسيّين والمغامرين وكائنات أخرى استثنائيّة مدّها هو بلغة خاصّة وبناء للعبارات مشهود الفرادة. ويرى النّقّاد، كازانوفا خصوصاً، أنّ ماركيز قام بذلك بصرامة أقلّ ممّا نجد لدى فولكنر، وهو ما يفسّر جماهيريّة ماركيز، التي تُحسَب له في نظر البعض، وعليه في نظر البعض الآخر.

لقد توفّي ماركيز بعدما صار أسطورةً في حياته، فامتزج في حياته وفي عمله الواقع والخيال، وبقي جذاباً حتّى في لحظات ضعفه وغيابه، وظلّ أبناء وطنه يدعونه «غابو» وهو التّصغير التّحبّبي لاسمه الأوّل أو الشّخصيّ. والعجيب أيضاً والملفت للنّظر هو أنّه عوّدهم وعوّدنا على غيابه وحوّل انتظاره الموت في سنيّه الأخيرة التي أصيب فيها بتدهور الذّاكرة، حوّله إلى حالة أليفة. هكذا قال في أحد آخر الحوارات المجراة معه: «لا شكّ أنّني أفكّر بالموت، ولكن بأقلّ ما يمكن. وحتّى لا أخاف منه خوفاً شديداً تعلّمت أن أتعايش مع فكرة بسيطة، لا كثيرَ فلسفة فيها: فجأة سيتوقّف كلّ شيء ويكون هناك ظلامٌ غامر. تُتحطّم الذّاكرة. وهو ما يريحني ويحزنني في آن، لأنّ هذه ستكون أوّل تجربة لن أتمكّن من سردها».

ماركيز

صديق العرب

بشير البكر×

آن لهذا الفارس أن يترجل. فبعد مسيرة حافلة من الأدب والصحافة والمواقف السياسية المنحازة دوماً إلى الشعوب المظلومة والقضايا العادلة، رحل عنا ماركيز تاركاً خلفه أدباً إنسانياً خالداً.

كولومبيا التي لا تزال تعيش شبه حرب أهلية وتجاهد للخروج منها في عملية مصالحة عسيرة، تبكي رحيل كاتبها الأعظم غابرييل غارسيا ماركيز. أمة بكاملها في حداد، حكومة ومعارضات، سياسية ومسلحة، ولكن ليست كولومبيا وحدها في مأتم، بل كل أمريكا اللاتينية.

لقد كان صاحب "مائة عام من العزلة"، و"الكولونيل الذي لا يجد من يكاتبه" و"الحب في زمن الكوليرا" وغيرها، كاتب أمريكا اللاتينية كلها. ولم تستطع حالة الانقسامات التي تعيشها القارة، حديقة واشنطن الخلفية، أن تمنع كتبه من اكتساح مكتباتها والولوج إلى قلوب ملايين القراء المتعطشين إلى الحرية، التي نادى بها سيمون بوليفار، ولم يستطع تحقيقها في حياته.

وخلافاً لحالة "القُطريَة" التي تسود في أدبنا وثقافتنا العربيين فقد كان غابرييل، الهارب من بلده والمقيم في المكسيك، هذا البلد الكبير المضياف الذي منح اللجوء والضيافة لمئات من كتاب أمريكا اللاتينية الهاربين من ديكتاتوريات قاتلة موالية لواشنطن، يكتب من هناك وتتلقف كتبه ومقالاته كل أمريكا اللاتينية.

من الصعب، بل من المستحيل، كما يقول الكاتب المكسيكي الراحل كارلوس فوينتس، وكان صديقاً لماركيز، الحديث عن أدب مكسيكي أو كولومبي أو أرجنتيني أو بيروفي، بل الصحيح الحديث عن أدب أمريكا اللاتينية بجزئه المكسيكي والأرجنتيني والبيروفي وغيره.

وإذا كانت رواية "مائة عام من العزلة" منحت لصاحبها جائزة نوبل، وجعلت النقاد يتحدثون عن الواقعية السحرية، فإن غابرييل غارسيا ماركيز لا يخفي أن الكثيرين من عمالقة الأدب في أمريكا اللاتينية أثّروا فيه، وفي مقدّمتهم المكسيكي خوان رولفو والأرجنتيني خوليو كورتثار وخورخي لويس بورخيس وجورج أمادو وغيرهم.

عاش ماركيز، الذي اشتهر بوفائه لأصدقائه، ولعل من أهمهم الزعيم الكوبي فيديل كاسترو، مسافراً ومترحلاً على الدوام. ويعترف بأنه تعرف على القضايا العربية، وخصوصاً فلسطين، في باريس، إبان فترة ثورة الشعب الجزائري من أجل تحقيق استقلاله. وكانت سحنته التي تشبه سحنات الجزائريين تثير شبهات الشرطة الفرنسية، فكان يُعتقل معهم، وهناك تعرف إلى بعض الوطنيين الجزائريين الذين تعلم منهم الكثير عن هذه الشعوب التي تعيش مصيراً واستعماراً يشبه حالة شعوب أمريكا اللاتينية. وهناك في باريس، ربحت القضية العربية والفلسطينية مُناصراً ظل معها على الدوام. لكنّ السياسيَ العربي المنهمك في السلطة لم يُكلف نفسه عناء تكريم الرجل، كما فعل الكيان الصهيوني مع جان بول سارتر وغيره، فأصبحوا يتبنون سياساتها.

نقرأ للكاتب الكولومبي داسّو سالديفار في كتابه البيوغرافي: «غارسيا ماركيز، سفر إلى الينبوع» الصادر عن دار «لوغراند ميروار" البلجيكية، فصولاً مشوّقة تتحدث عن المرحلة الباريسية في حياة غارسيا ماركيز وإقامته في شارع «كوجاس»، في الحي اللاتيني، الذي أطلق عليه اللاجئون المنحدرون من أمريكا اللاتينية اسم «قبيلة كوجاس" الأمريكية اللاتينية، حيث تأثر ماركيز كثيراً بثورة الجزائر، وتقاسم السجن مع المواطنين الجزائريين، فقد كانت سحنته توحي للشرطة الفرنسية بأصول مغاربية!

وفي هذا الإطار يقول داسّو «لم تكن حرب الجزائر تحتل الساحة الإعلامية بعدُ، ولكنها كانت واقعاً مُهدِّداً لغابرييل غارسيا ماركيز لسحنته العربية (رأسه يشبه رؤوس العرب)، وقد دفع الثمن، إذ لدى خروجه من قاعة سينما ذات مساء، اعتقد رجال الدرك الفرنسيون أنه جزائري، فأشبعوه ضرباً ونقلوه إلى مقر الشرطة في "سان جيرمان ديبريه" مع جزائريين حقيقيين، حزينين وذوي شوارب مثله، وتلقوا هم أيضاً الضربات.

وكي يُهدِّئوا من ضيقهم أطلقوا العنان طول هذه الليلة لترديد أغاني الفرنسي "جورج براسانس". فارتبط ماركيز بصداقتهم، وبالأخص بالدكتور أحمد طبّال الذي نجح في تحسيسه بقضية وطنه. في هذه الحقبة أنجز غابرييل ماركيز العديد من الريبورتاجات عن حرب الجزائر وعن حرب قناة السويس". والذي يكتشف حجم الشهادات وتنوعها في حق الرجل يكتشف حجم الخسارة التي منيت بها الثقافة العالمية، على الرغم من أن غابرييل غارسيا ماركيز كان مريضاً ومتوقفاً عن الكتابة. فمن الرئيسين الأمريكيين، السابق بيل كلينتون، الذي "يعتز بصداقته لماركيز خلال عشرين عاماً" والحالي باراك أوباما، ومن رئيس كولومبيا اليميني إلى الفارك، المنظمة الثورية المسلحة، ومن كل رؤساء أمريكا اللاتينية إلى رؤساء العالم أجمع، إلى مواطنته المغنية شاكيرا جاءت الإشادة بهذا الرجل وأدبه ومساهماته.

والحقيقة أن الإشادة المكسيكية، إضافة إلى الإشادة الكوبية، أكثر قوة وصدقاً، فقد منحته المكسيك فرصة قلما وجدها في بلد آخر. وقد عبر الرئيس المكسيكي الحالي بحق عن الأمر حين قال: "إن كتاباته جعلت الواقعيةَ السحريةَ الأمريكيةَ اللاتينية كونيةً، فأثّر في ثقافة زمننا"، وأضاف أن هذا الكاتب المولود في كولومبيا "جعل من المكسيك "بيته"، مُثرياً حياتَنا الوطنية".

وقد شكّل رحيل ماركيز فرصة لمصالحة تاريخية بينه وبين ماريو فارغاس يوسا عملاق الأدب البيروفي، إذ كانت قطيعتهما انكساراً كبيراً في أدب أمريكا اللاتينية، وكانت مَعارضُ الكتَاب في المكسيك كل سنة تمنح الكَثير مِنَ الأمل لمصالحة تأبى أن تتحقق. فقد فرقت السياسة الكوبية بين الرجلين، اللذين كانا يساريين معاً، في حقبة من تاريخهما، فظلّ ماركيز وفياً للثورة الكوبية، رافضاً أن يُدلي بأي تصريح علني ضد انتهاكات كوبا لحقوق الإنسان، مفضلاً التدخل الشخصي لدى كاسترو، في حين أن الثاني انشق وحارب الثورة الكوبية وتبنّى الليبرالية السياسية وترشح لرئاسة البيرو لولا أنه فَشل فربح الأدب وحصل، هو الآخر، على جائزة نوبل. وقال يوسا: "إن روايات غابرييل غارسيا ماركيز ستعيش بعد موته، وسيفوز بِقرّاء في كل مكان من العالم".

وفي مايخص القضية الفلسطينية فإن ماركيز نشر عام ١٩٨٢ بيانه الشهير عن مجزرة صبرا وشاتيلا، وندد فيه بالعمل الإجرامي بحق اللاجئين الفلسطينيين، وفي العام ٢٠٠٢، وحين اقتحمت القوات الصهيونية المدن الفلسطينية في الضفة وأعادت احتلالها، أصدر بيانه الناري الذي يدين فيه المجرمين الصهاينة، والذي يندد فيه بمواقف الكتّاب والمثقفين الصامتين في العالم لخوفهم من أن يوصموا بمعاداة السامية، وقال في نهاية البيان، لكل هؤلاء أقول أنا غابرئيل غارسيا ماركيز أوقّع على هذا البيان منفرداً.

× كاتب وشاعر سوري
المقال عن "العربي الجديد"

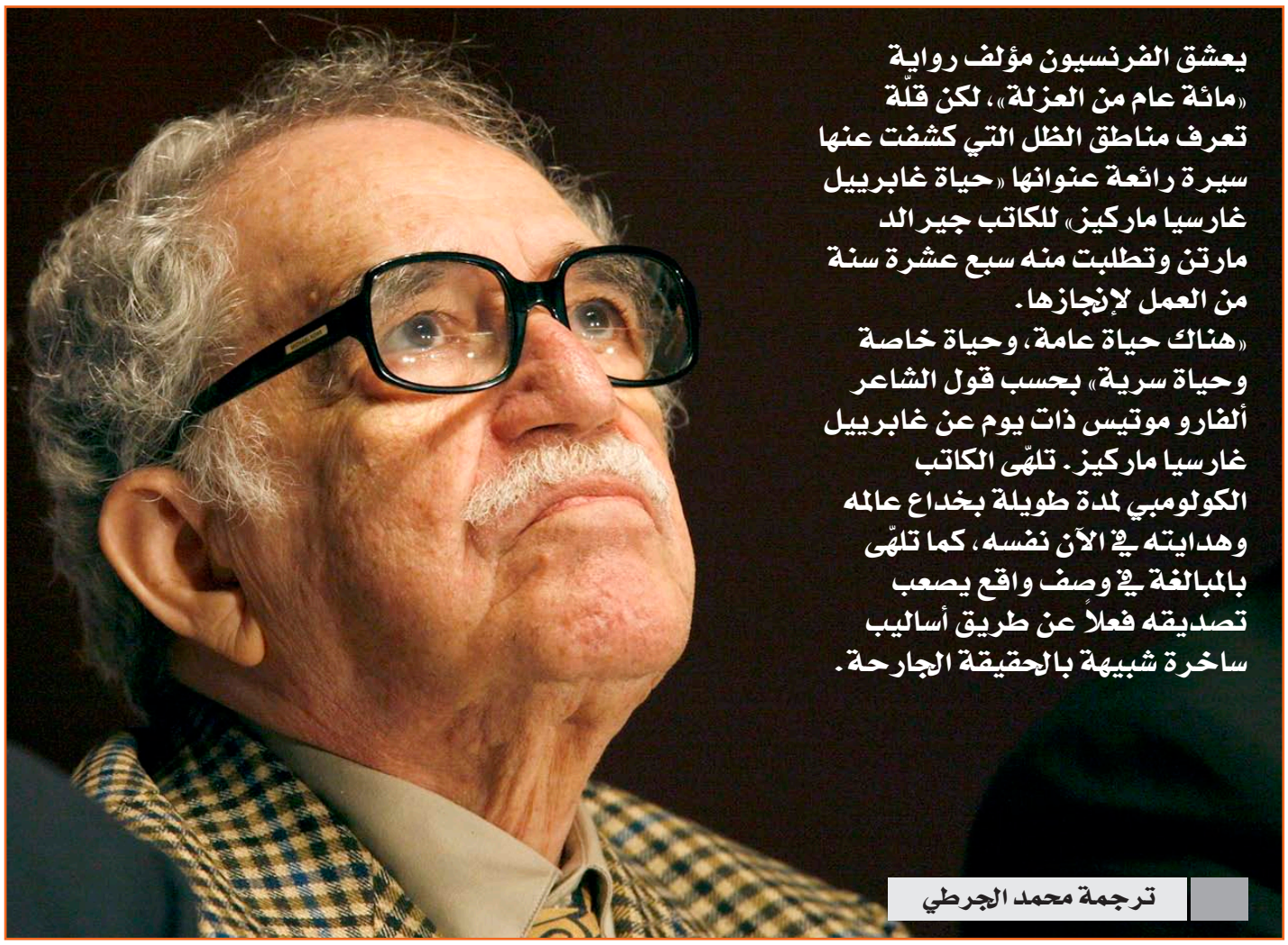

يعشق الفرنسيون مؤلف رواية «مائة عام من العزلة»، لكن قلّة تعرف مناطق الظل التي كشفت عنها سيرة رائعة عنوانها «حياة غابرييل غارسيا ماركيز» للكاتب جيرالد مارتن وتطلبت منه سبع عشرة سنة من العمل لإنجازها.

«هناك حياة عامة، وحياة خاصة وحياة سرية» بحسب قول الشاعر ألفارو موتيس ذات يوم عن غابرييل غارسيا ماركيز. تلهّى الكاتب الكولومبي لمدة طويلة بخداع عالمه وهدايته في الآن نفسه، كما تلهّى بالمبالغة في وصف واقع يصعب تصديقه فعلاً عن طريق أساليب ساخرة شبيهة بالحقيقة الجارحة.

ترجمة محمد الجرطي

الكاتب ذو الألف حيلة... وجه ماركيز الخفيّ

مثلاً: هل استمر الروائي الكولومبي المشهور حقاً في الكتابة قبل غيابه أم توقف عنها بشكل نهائي في السنوات الأخيرة واضعاً قلمه؟ نجد أنفسنا أكثر ميلاً إلى تصديق الافتراض الثاني. يبرهن جيرالد مارتن الجامعي البريطاني في السيرة التي وضعها الماركيز عن صرامة غريبة في الإحساس بـ«غابو» لقب غابرييل غارسيا ماركيز وفي إدراك شخصيته وحياته المدهشة: «ذلك الشخص، يسرد دوماً الحكايات والقصص! "كما كان يردد غالبا والده.

هل غابرييل غارسيا ماركيز مختلق داهية في كتاباته كما في حياته؟ يقبل الكاتب الكولومبي عن طيب خاطر وصفه بـ«الساحر» ذي الألف حيلة ولفّة في الحياة الفنية، كما هي حاله في الحياة السياسية.

حصول غارسيا ماركيز على نوبل الآداب سنة ١٩٨٢ أثر سلباً في حياته في بادئ الأمر كصحافي لامع، بعد ذلك خاض ماركيز تجربة كتابة السيناريو وأضحى اختصاصياً في نشر الإعلانات، و«وسيطاً» سياسياً وكاتباً مسرحياً عديم الموهبة في هذا المجال، وراعياً للأدب والفنون، ومؤسساً لمدرسة سينما في كوبا ولمعهد للصحافة في قرطاجنة. سافر في أنحاء العالم زمن لم يكن السفر أمراً سهلاً، وكانت أسفاره غنيمة حقيقية لصحافي مفلس لا يتكلم الانكليزية. هنغاريا الشيوعية وباريس اللاتينية كانتا من المحطات المؤثرة في حياته، إذ عرفت هنغاريا بالفقر المدقع الذي علم غارسيا بوجوده في هذا البلد، وأثارت باريس التي إعجاب سذاجة صحافي معجب بنمط الحياة القائم في هذه المدينة.

لم يخترع ماركيز شيئاً في رواياته، بل استلهم كل شيء من محيطه. قرية ماكوندو موجودة فعلاً! وقرية الحكايات الرائعة في رواية «مئة عام من العزلة" التي انتهت بشكل مثير للرثاء، هذه القرية هي أرض قريبة من أراكاتكا، المدينة التي ولد فيها غارسيا ماركيز عام ١٩٢٧. وتقع في شمال منطقة الكاريبي لبلد غارسيا ماركيز، ويُعرف هذا المكان كمنطقة لزراعة الفواكه كانت تديرها شركة أميركية، حيث قتل ألوف العمال بعد إضراب عام. نشأ غارسيا ماركيز في هذه المنطقة على يد جده «الكولونيل الساحر». ثم بعد ذلك استعاده والده كما في رواية «الحب في زمن الكوليرا» للانتقال مع أشقائه وشقيقاته العشر، إلى محافظة قرطاجنة إرضاء للمشاريع الصيدلية الكارثية للأب. هذا الأب الوقح الذي عجز عن معالجة ابنه حين كان مراهقاً يعاني نوبات القلق والفصام... العالم الأدبي لغابرييل غارسيا ماركيز حاضر بكامله في محيطه منذ طفولته: بيئة اجتماعية قاسية، سحر السلطة، عائلة مهووسة بالشعوذة والضحك، النساء والخوف من الموت.

حين تكون الأسطورة أكثر جمالا من الواقع، انشر الأسطورة هذا ما يقوله جيمس ستيوارت في فيلم الرجل الذي قتل ستارة الحرية.

يتبع غارسيا ماركيز هذه النصيحة في سيرته الذاتية عشت لأروي إذا أوقف نشاطه الصحافي في بدايته وكرس حياته لموهبته الأدبية في الكتابة. لا يملك جيرالد مارتن ويا للأسف أسلوب ماركيز الملتهب، لكن سيرته لا يمكن اعتبارها مجرد تحية وإشادة بماركيز. إذا كانت السيرة التي تحمل حياة غابرييل غارسيا ماركيز بقلم جيرالد مارتن أزالت الكثير من الغموض، فإنها قدمت أيضاً الكثير من المعلومات حول السياق السياسي الكولومبي والدولي بين عامي ١٩٤٠ و٢٠٠٠. ارتبطت حياة الكاتب غارسيا ماركيز بشكل وثيق بهذا السياق. فبفضل برنامج اجتماعي للسياسة التقدمية في كولومبيا في الأربعينات، استطاع التلميذ ماركيز التوجه إلى المدرسة ونيل البكالوريا. من دون هذه المنحة ما كان غارسيا ماركيز ليتمّ دراسته ولا لتتفتح موهبته الأدبية. ثم جاء بعد ذلك زمن الثورات والاشتراكية في أميركا اللاتينية تمويل الفصائل المسلحة في فنزويلا وعلاقة غارسيا ماركيز مع الشخصيات النافذة فرنسوا ميتران وملك اسبانيا وعائلة كلينتون وعلاقته أيضاً بفيديل كاسترو إلى صداقته مع الكوبي ليدر ماكسيمو، ولدت عام ١٩٦٠ بفضل محادثة حول كمية الدجاج التي يتناولها السكان في كوبا، ولم تفشل أبداً رغم الانتقادات والمشاكل. تجسست الاستخبارات المكسيكية على غارسيا ماركيز بين عامي ١٩٦٧ و١٩٨٥ إذ اعتبرته وكيل دعاية لمصلحة إدارة الاستخبارات الكوبية، ومنعته الولايات المتحدة من دخول أراضيها لمدة طويلة. بعيداً عن نزعة الحقد والضغينة، يُعتبر هذا الكاتب البارز ورمز الواقعية السحرية، من الكتاب الأوائل، مع كارلوس فوينتس وخوليو كورتازار، الذين منحوا أميركا اللاتينية هوية أدبية كاملة العضوية.

لا أحد كان يعلم شكل العلاقة التي يقيمها غارسيا ماركيز مع ابنيه، ولا نظرته إلى المرأة، ولا سبب عدم اقتباس المخرج كوراساوا روايته خريف البطريرك لفيلم... لكن الأمر الوحيد المؤكد كما يقول توماس بينشون عن غابرييل غارسيا ماركيز: آه! اللعنة، إنه يكتب بطريقة رائعة!.

مواقف وآراء

نشرت كتب ومقالات كثيرة وعن مواقف ماركيز السياسية، إلا أن أبرز ما قاله عن جائزة نوبل وفلسطين كان تحت عنوان: مناحيم بيغن وأريئيل شارون: لهما جائزة نوبل للموت! ومما جاء فيه: «منح نوبل السلام لمناحيم بيغن أمر لا يصدّق. المهمّ أن بيغن يحمل فعلاً هذه الجائزة ولا سبيل الآن إلى تبديل ما حدث فهو يحملها منذ منحه إياها عام ١٩٧٨ مع الرئيس المصري آنذاك أنور السادات عند توقيعهما، على انفراد، اتفاقية السلام في كامب ديفيد. لم يحظ الاثنان بالمصير نفسه: فمصير السادات كان التبرّؤ الفوري منه في العالم العربي، ولاحقا قتله أمّا بالنسبة إلى بيغن، فالاتفاقيّة خوّلته المباشرة بمشروع استراتيجي لم يختتم بعد، وأشبع قبل أيام قليلة بمجزرة وحشيّة لأكثر من ألف لاجئ فلسطيني في أحد مخيّمات بيروت. ليست هناك جائزة نوبل للموت، لكن لو وُجدت فقد تُمنح هذا العام، ومن دون منافسة، لمناحيم بيغن وسفّاحه المحترف أريئيل شارون.

اليوم، وبعد تكشّف الحوادث، نستطيع فهم غاية بيغن الوحيدة والمتسترة خلف ستار كامب ديفيد: القضاء على منظّمة التحرير الفلسطينيّة و بناء مستعمرات «إسرائيلية"جديدة في الضفة الغربية. بالنسبة إلينا- نحن الذين بوسعنا تذكّر ممارسات النازيّة- يعتمد مشروع بيغن على ركيزتين تثيران لدينا ذكريات فظيعة: نظريّة «المجال الحيوي»، التي أراد بها النظام النازي أن يبسط إمبراطوريته على امتداد نصف العالم أما الركيزة الثانية فهي ما سمّاه هتلر بـ«الحل النهائي» لمشكلة اليهود، والتي حملت أكثر من ستة ملايين من البشر إلى معسكرات الإبادة».

كيف تُكتب الرواية؟

يقول ماركيز حول كتابة الرواية والفن الروائيّ: إنه بلا ريب أحد الأسئلة الكثيرة التي غالبا ما توجّه إلى الروائي. ولدى المرء دوماً إجابة مرضية، تناسبُ من يوجه السؤال. لكن الأمر أبعد من ذلك: فمن المجدي محاولة الإجابة عنها لا لمتعة التنويع فحسب، كما يقال، بل لأنه يمكن الوصول من خلاله الى الحقيقة. ولأن هناك أمراً مؤكداً

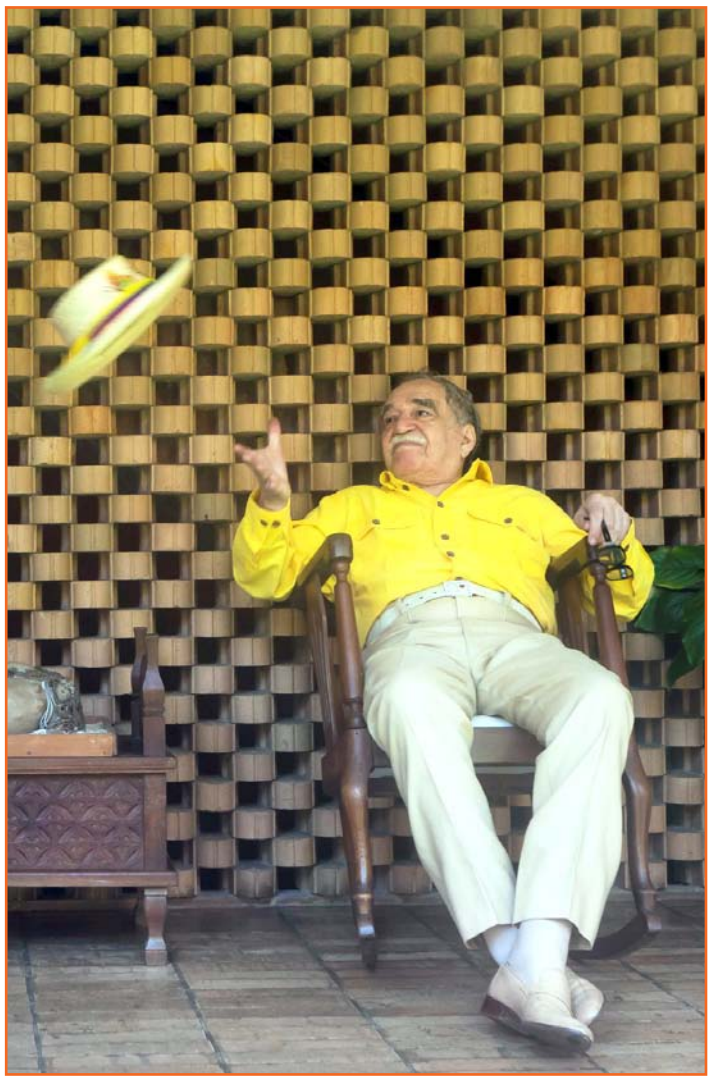

إن تمزيق القصص القصيرة أمرٌ لا مناص منه، لأن كتابتها أمر أشبه بصبّ الإسمنت المسلح. أما كتابة الرواية فهي أشبه ببناء الآجر. وهذا يعني: إذا لم تنجح القصة القصيرة من المحاولة الأولى فالأفضل عدم الإصرار على كتابتها. بينما الأمر في الرواية أسهل من ذلك، إذ من الممكن العودة للبدء فيها مجدداً.

على ما أظن، هو أن معظم الذين يسألون أنفسهم كيف تكتب الرواية، هم الروائيون تحديداً. ونحن نقدم إلى أنفسنا أيضا إجابة مختلفة كل مرة. وأعني بالطبع الكتّاب الذين يظنون أن الأدب فن موجّه لتحسين العالم. أما الآخرون من الذين يرون أنه فنٌ مكرّسٌ لتحسين حساباتهم المصرفية، فلديهم معادلات للكتابة ليست صائبة فحسب، بل يمكن حلها بدقة متناهية كأنها معادلات رياضية. والناشرون يعرفون ذلك. كان أحدهم يتسلى منذ وقت قريب موضحًا لي سهولة الطريقة التي تكسب بها داره للنشر الجائزة الوطنية للآداب: قبل كل شيء لا بد من دراسة أعضاء لجنة التحكيم من خلال تاريخهم الشخصي وأعمالهم وذوقهم الأدبي. ويرى الناشر أن محصلة هذه العناصر توصله إلى حد وسطي لذوق لجنة التحكيم الأدبي. ويقول: «لهذا وجد الكمبيوتر». وبعد الوصول إلى نوع الكتاب الذي يتمتع بأكبر الاحتمالات للفوز بالجائزة، ينبغي التصرف بطريقة معاكسة لما يجري في الحياة، فبدلاً من البحث أين هو هذا الكتاب، تمّ البحث عمن هو هذا الكتاب سواء كان جيداً أو رديئاً المؤهل أكثر من سواه لفبركته. وما سوى ذلك ليس إلا التوقيع على عقد معه ليجلس ويكتب المواصفات المحددة، الكتاب الذي سيفوز في السنة التالية بالجائزة الوطنية للآداب. والمخيف في الأمر أن الناشر قد أخضع هذه اللعبة لمطحنة الكمبيوتر الذي أعطاه أن احتمال النجاح سبعة وثمانون في المئة.

المسألة ليست إذن في كتابة رواية أو قصة قصيرة – إنما في كتابتها بجدية، حتى ولو لم تبع في ما بعد ولم تنل أي جائزة. هذه هي الإجابة التي لا وجود لها، واذا كان هناك من يملك الأسباب لمعرفة ذلك في هذه الايام، فهو من يكتب الآن هذه السطور محاولا من أعماقه إيجاد حلّه الخاص لهذه الأحجية.

عدتُ حديثاً إلى مكتبي الخاص في مكسيكو حيث تركت منذ سنة كاملة عددًا من القصص القصيرة غير المكتملة ورواية كنتُ بدأت في كتابتها وأحسست بأني لم أجد طرف الخيط كي تكر اللفافة.

بالنسبة إلى القصص القصيرة، لم أواجه أي مشكلة: ذهبت إلى سلة المهملات. فبعد قراءتها إثر سنة من الغياب الصحي، أجرؤ على القسم وربما كنت محقاً بأنني لست كاتبها. إنها تشكل جزءًا من مشروع قديم يتألف من ستين قصة قصيرة أو أكثر تتناول حياة الأميركيين اللاتينيين في أوروبا، وكان عيب هذه القصص الأساسي وسبب تمزيقها أني أنا نفسي لم أقتنع بها.

ليس لديّ من التبجّح ما يجعلني أقول إن يدي لم ترتعش حين مزقتها، ثم حين بعثرت القصصات لأحول دون جمعها مجدداً. ارتعشت، ولم تكن يداي وحدهما هما اللتان ارتعشتا، لأني أحتفظ لعملية تمزيق الأوراق هذه بذكرى قد تكون مشجعة، لكنها تبدو لي مربكة.

إنها ذكرى تعود إلى ليلة حزيرانية من عام ١٩٥٥، عشية سفري إلى أوروبا كموفد خاص من صحيفة «الإسبيكتادور»، حين جاء الشاعر خورخي غيتان دوران إلى غرفتي في بوغوتا ليطلب مني أن أترك له شيئا ينشره في مجلة «ميتو». وكنت انتهيت من مراجعة أوراقي، فوضعت في مكان أمين ما رأيت أنه جدير بالحفظ، ومزقت ما هو ميؤوس منه.

بدأ غيتان دوران البحث في سلة المهملات عن الأوراق الممزقة، بنهمه الذي لا يرتوي أدبا، وخاصة نحو اكتشاف قيم مغمورة. وفجأة وجد شيئاً لفت انتباهه، فقال لي: «لكن هذا صالح جداً للنشر»، فأوضحت له لماذا مزقته: إنه فصل كامل انتزعته من روايتي الأولى «عاصفة الأوراق" وكانت الرواية نشرت في ذلك الحين ولا يمكن له أن يلقى مصيراً مشرفاً إلا في سلة المهملات.

لم يتفق غيتان دوران مع وجهة نظري، ورأى أن النص قد يكون فائضا عن الحاجة في مسار الرواية ولكن له قيمة مختلفة بذاته. فخوّلته ليس لقناعتي بوجهة نظره بقدر ما كان ذلك لإرضائه صلاحية ترقيع الأوراق الممزقة بشريط لاصق، ونشر الفصل على أنه قصة قصيرة. «وأي عنوان نضع له؟" سألني، مستخدما صيغة جمع قلما كانت دقيقة كما هي في تلك الحالة. فقلت له: «لست أدري، فهاذا لم يكن سوى مونولوغ لإيزابيل وهي ترى هطول المطر في ماكوندو»، وكتب غيتان دوران في الهامش العلوي للورقة الأولى، وفي الوقت نفسه الذي كنت أقول فيه: «مونولوغ ايزابيل وهي ترى هطول المطر في ماكوندو». وهكذا استعيدت من القمامة إحدى قصصي القصيرة التي قوبلت بأفضل إطراء من جانب النقد، ومن جانب القرّاء خاصة.

ومع ذلك، لم تفدني هذه التجربة في عدم مواصلة تمزيق أصول المخطوطات التي تبدو لي غير صالحة للنشر، بل علمتني ضرورة تمزيقها بطريقة لا يمكن معها إعادة ترقيعها ثانية.

إن تمزيق القصص القصيرة أمرٌ لا مناص منه، لأن كتابتها أمر أشبه بصبّ الإسمنت المسلح. أما كتابة الرواية فهي أشبه ببناء الآجر. وهذا يعني: إذا لم تنجح القصة القصيرة من المحاولة الأولى فالأفضل عدم الإصرار على كتابتها. بينما الأمر في الرواية أسهل من ذلك، إذ من الممكن العودة للبدء فيها مجدداً. وهذا ما حدث معي الان. فلا الإيقاع، ولا الأسلوب، ولا تصوير الشخوص كانت مناسبة للرواية التي تركتها نصف مكتملة. وتفسير هذه الحالة واحد أيضاً: فحتى أنا نفسي لم أقتنع بها.

في محاولة للبحث عن حل، عدت إلى قراءة كتابين اعتقدت أنهما مفيدان، أولهما «التربية العاطفية» لفلوبير، ولم أكن قرأته منذ أرق الجامعة البعيد، فلم يفدني إلاّ في تفادي التشابهات التي كانت ستبدو مريبة، لكنه لم يحلّ لي المشكلة. أما الكتاب الآخر الذي عدت إلى قراءته فهو «بيت الجميلات النائمات" لياسوناري كواباتا، الذي صفع روحي قبل ثلاث سنوات، وما زال كتابا جميلا. لكنه لم ينفعني هذه المرة في شيء، لأنني كنت أبحث عن أساليب التصرف الجنسي لدى المسنين، وما وجدته في الكتاب هو سلوك المسنين اليابانيين الذي يبدو شاذا، مثل كل ما هو ياباني، ولا أدنى علاقة له بالسلوك الجنسي لمسني منطقة الكاريبي.

عندما تحدثت عما يقلقني على المائدة، قال لي أحد ابنيّ وهو صاحب التوجه العملي –: «انتظر بضع سنوات أخرى وستدرك الأمر من خلال تجربتك الشخصية». أما الآخر وهو فنان وكان أكثر دقة وتحديداً: «عد إلى آلام فارتر»، قال لي ذلك من دون أي أثر للسخرية في صوته. فحاولتُ قراءته فعلاً، ليس لأني أبٌ مطيع جداً فحسب، إنما لأني فكرت كذلك بأن رواية غوته المشهورة قد تفيدني. لكنني لم أنته هذه المرة إلى البكاء في جنازة الشاب فارتر، كما حصل لي في المرة السابقة، ولم أستطع تجاوز الرسالة الثامنة، تلك التي يروي فيها الشاب المنكوب لصديقه غيليرم كيف بدأ يشعر بالسعادة في كوخه المتوحد. ووجدتُ نفسي باقياً في مكاني، حتى أنني لم أجد غرابة في اضطراري إلى عضّ لساني كي لا أسأل كل من التقي به: «قل لي يا أخي، اللعنة، كيف يمكن كتابة رواية؟».

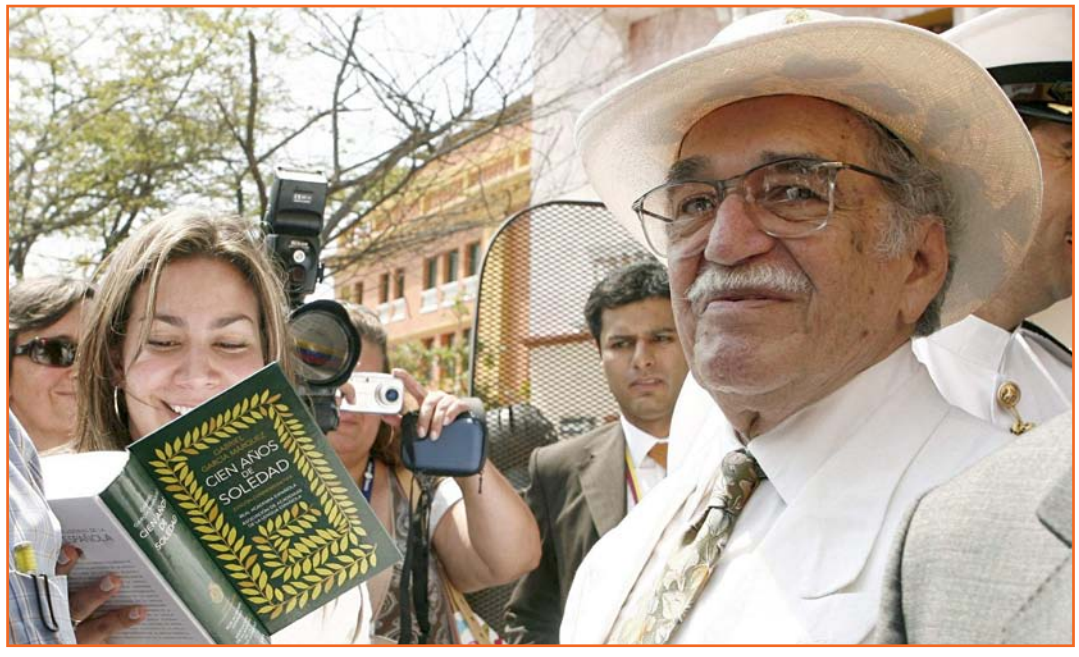

عن الغارديان

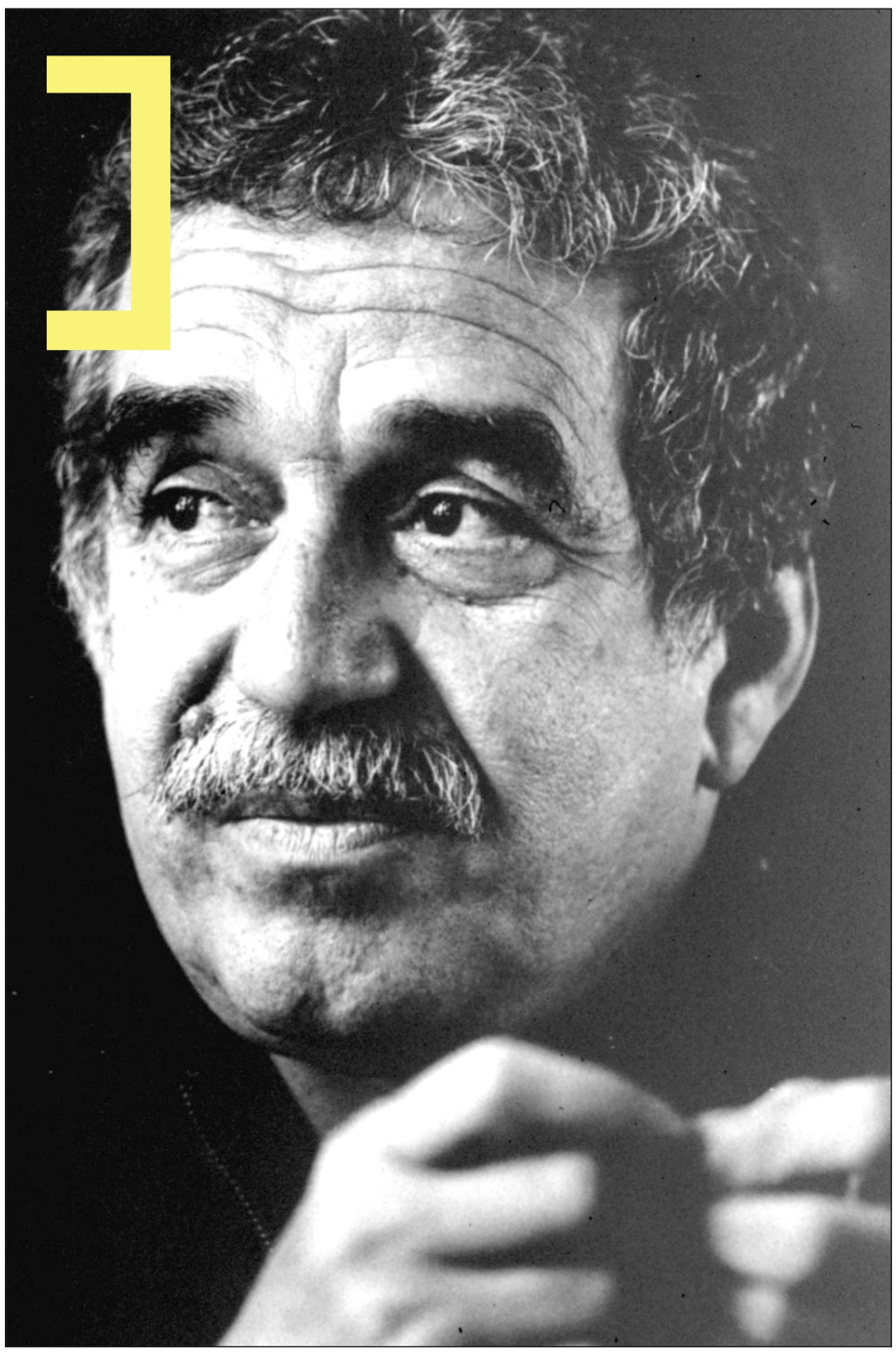

ماركيز... رسام الحكايات

منال أبو عبس

كيف بدأت الكتابة؟

بالرسم بالرسم... هكذا أجاب غابريال غارسيا ماركيز على سؤال لمراسل "باريس ريفيو". قبل أن أكون قادراً على القراءة والكتابة، كنت أرسم في البيت والمدرسة. المضحك، أنني في المرحلة الثانوية كان يُعرف عني أنني كاتب، مع أنني لم أكن كتبت شيئاً بعد.

الرسم... الرسم. هذا هو بالضبط ما فعله غابريال غارسيا ماركيز الصحافي والروائي. رسم أميركا اللاتينية، ورسم ذاكرتنا عنها. رسم ناساً بملامح طغت على ملامحهم الحقيقة، ثم رسم أمزجتهم ورسم في الهواء رائحة أوراق الكينا، وكانت عطرة. رسم رجلاً ذا شاربين كثيفين وبشرة داكنة، يجلس على كرسي من الخيزران لونه بلون جذع الشجر، على شرفة أرضها من الخشب نفسه وخلفه تقف امرأة شابة. كلاهما يرتدي ملابس من الكتّان الابيض مع صدرية وساعة ذهب. هو يضع غليوناً في فمه من دون أن يشعله وهي تنظر إليه. ومن حولهما تفوح رائحة أشجار الموز وزهور الاوركيديا وقصب السكر.

رسم الكولونيل بطل أميركا اللاتينية المطلق، وتركه يتنقل بين قصة وأخرى مرة شاباً وثانية عجوزاً. مرة يؤسس قرية تتحقق فيها اللعنة- النبوءة وتقضي عليها رياح مشؤومة، ومرة ينتظر رسالة في البريد ولا تأتي. مرة تفوح منه رائحة المانغا وأخرى تتعفن فيها أمعاؤه في أكتوبر.

رسم فلورنتينو اريثا شاباً هزيلاً في "الحب في زمن الكوليرا"، ورسم فيرمينا داثا. ورسم ببغاء ومظلة ونهراً وسفينة وميتاً ورائحة اللوز المر. وجعلنا ننشغل بالرسم، تاركاً فلورنتينو ينتظر فيرمينا داثا إحدى وخمسين سنة وتسعة شهور وأربعة أيام.

رسم القبطان ينظر إلى فلورينتينو اريثا "بتماسكه الذي لا يقهر وحبّه الراسخ، وأرعبه ارتيابه المتأخر بأن الحياة، أكثر من الموت، هي التي بلا حدود"، ويسأله: "إلى متى تظن أننا سنستطيع الذهاب والإياب الملعون؟ وكان الجواب جاهزاً لدى فلورينتينو اريثا منذ ثلاث وخمسين سنة وستة شهور وأحد عشر يوماً بلياليها. فقال: مدى الحياة".

رسم الحَر الخانق، ورسم الكولونيل "الواثق بأن نباتات فطر وزنابق سامة تنمو في أحشائه"، وجعله على مدى ست وخمسين عاماً، منذ انتهت الحرب الاهلية الاخيرة، لا يفعل شيئاً سوى انتظار رسالة مستعجله. رسم ديكاً "لا يمكن أن يخسر" في حلبة مصارعة. ورسم نهاية غير مألوفة لرواية من مئة صفحة قال إنها أفضل رواياته بلا شك.

رسم نهاية سانتياغو نصّار على أيدي التوأمين فيكاريو في جريمة شرف في أول صفحة من القصة. ثم راح يرسم ويرسم لتخرج "قصة موت معلن"، لوحة من يوم واحد تكشف حياة كاملة في أميركا اللاتينية وريفها.

هكذا كان غابريال غارسيا ماركيز منذ المرة الأولى التي رسم فيها قبل أن يتعلم القراءة والكتابة. يرسم فنرى بلداً وطريقاً ووحلاً نقفز فوقه، وتمسنا الرائحة العطرة للبخور وأشجار الكينا، والوصفات السحرية للجدة. وستظل رسوماته في سماء الكوكب إلى الأبد، تماما كتلك العبّارة التي تروح وتغدي على وجه النهر، يحركها الحب، والحب وحده.

عن جريدة الشرق الاوسط

مائة عام من العزلة

بعد سنوات عديدة وفي مواجهة فصيلة تنفيذ الاعدام، كان على العقيد "اورليانو بوندیا" ان يتذكر فترة بعد الظهر التي اصطحبه خلالها والده للتعرف على الثلج، وكانت "ماكوندو" وقتئذ قرية تضم نحو عشرين منزلا من الطين الصلصالي والغاب مشيده على شاطئ نهر تجري مياهه على احجار ملساء وبيضاء ضخمة مثل بيض ما قبل التاريخ واذ كان العالم حديث العهد جدا، الى درجة ان العديد من الاشياء لم تكن معروفه باسمائها ومن يطلبها عليه ان يشير اليها باصبعه. هناك كانت اسرة البوهيميين في ملابس رثه اعتادت في شهر آذار (مارس) من كل عام غرس خيمة بالقرب من القرية و وسط اصوات الطبول والمزامير تشترك في الاختراعات الحديثة. بدؤوا باحضار المغناطيس وقام بعد ذلك بوهيمي ذو لحيه مشعثة ويدين صغيرتين - يعرض ما اسماه هو ذاته العجيبة الثامنة لعلماء الكيمياء في مقدونيه كان يدلي بذلك باسم "ميليكاد" واخذ يتجول من منزل الى آخر. يجر من خلفه قذيفتين من المعدن وكم كانت دهشة الجموع بل وكم كان هلعهم عندما رأوا القدر المعدنية والمواقد والكماشات.. تسقط تلقائيا من مكانها والخشب يطقطق بسبب المسامير واللوالب التي كانت تسعى الى الخروج منه وحتى كل ما كان مفقودا منذ فترات طويلة ظهر غالبا في الاماكن التي تم البحث فيها أكثر من مرة وتنجذب كلها الى هذا الحديد السحري الذي ل "ميليكاد" وكان البوهيمي يعلن بصوت حنجري:- للاشياء حياه خاصة، وجب ايقاظ نفوسها، الموضوع يرتكز على ذلك. اما عن "خوسيه اركاديويونديا" صاحب الخيال الواسع، فكان يمتد الى ما هو ابعد من نبوغ الطبيعة ذاتها عندما لا يكون ابعد من المعجزات والسحر فكر في انه من الممكن استخدام هذا الاختراع غير النافع لاستخراج الذهب من الارض ولما كان "ميليكاد" رجلا شريفا حذره قائلا: هذا لا يستخدم فيما تفكر فيه، غير ان "خوسيه" كان لا يثق وقتئذ في نزاهة البوهيمين وعمل على المقايضة على البغلة وقطيع الغنم الذي يمتلكه مقابل جزءئ المغناطيس ولما كانت زوجته اروسولا اجواران "معتمدة على هذه الحيوانات لتنمية ثروتها الحيوانية لم تتمكن من اثناء زوجها عن رأيه، وكأنه افحمها بقوله:- سنحصل سريعا على الذهب الذي سيتجاوز قدره المبلغ اللازم لوضع بلاط المنزل باكمله.

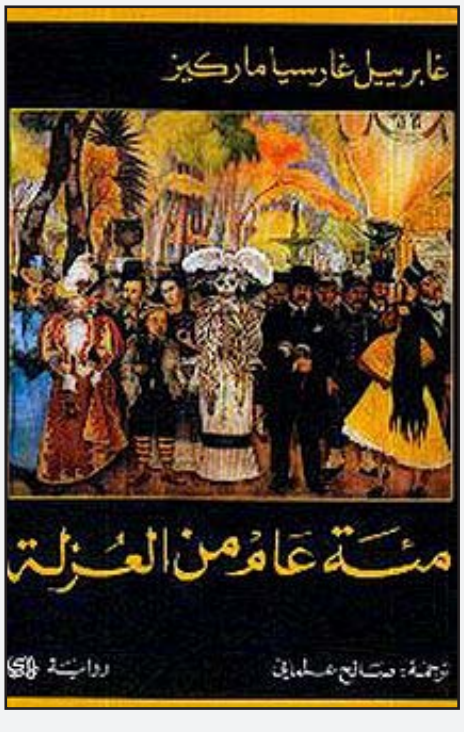

المقطع الاول من رواية مائة عام من العزلة

وداعا غابو.. رحل "بطريرك" أميركا اللاتينية.. ماركيز عاش ليروي

خليل صويلح

إذا كانٍ من أديب عالمي يمكن اعتباره «عربيّا» بامتياز، فإن هذا الأديب هو غابرييل غارسيا ماركيز. اليوم يبكيه القرّاء العرب قبل سواهم، هو المنتشر عالميّاً على نطاق واسع تجاوزالاسبانيّة لغته الأم، وأميركا اللاتينيّة مسرح شخصياته واحداثه. الكاتب الكولومبي الذي قُرئت أعماله مغرباً ومشرقا، انطفأ بهدوء ليلة أمسٍ عن ٨٧ عاماً. رحل «غابو»، كما يُكنّى توددا في دياره، بعد قصّة غريبة مع السرطان الذي تغلّب عليه أكثر من مرّة، وبعد شائعات كثيرة عن موته كان يكذّبها ساخراً. هذه المرّة استسلم صاحب نوبل (١٩٨٢) للملاك الأسود الخارج من «حبٍ في زمن الكوليرا»، هو الذي بدأ صحافيّاً استقصائيّاً، ليصبح «بطريرك "الأدب الأميركي اللاتيني، وأحد روّاد «الواقعيّة السحريّة». تأثّر بقصص جدّته المليئة بالخرافات والجنّيات، وبالسرديّات الواقعيّة لجدّه الكولونيل الليبرالي الذي طبع مزاجه السياسي، فوقف إلى جانب الثورات وحركات التحرر، وتميّز بعدائه للاستعمار الأميركي، وربطته صداقة متينة بفيديل كاسترو.

رحل «بطريرك "أميركا اللاتينية: غابرييل غارسيا ماركيز عاش ليروي

عن ٨٧ عاماً، انطفأ «غابو» أمس في منزله في مدينة مكسيكو، مُنهياً السطر الأخير في مسيرة أحد أعظم الأدباء في القرن العشرين. صاحب «نوبل" (١٩٨٢) نقل مناخات أميركا اللاتينية إلى بقاع العالم، فاستحق لقب أكثر الكتّاب بالاسبانية شعبية منذ ثرفانتس!

«عشتُ لأروي" (٢٠٠٢) العبارة التي اختارها الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز (١٩٢٧ ـ ٢٠١٤) كي تكون عنواناً لمذكراته، تكفي لاختزال حياته الاستثنائية. لن يضاهيه أحد في رواية الحكايات. طوال ستين عاماً، لم يتوقف عن إهدائنا شخصيات مدهشة، لا تتوانى عن القيام بأكثر الأفعال غرابة، من دون أن نحسّ بلا معقوليتها. شخصيات سترافقنا على الدوام، كما لو أننا نعرفها عن كتب، أو يصعب تخيّلها إلا كما صنعها هذا الساحر. قبل أن يُصدر مذكراته، كُنّا نظن أنّ مخيلة ماركيز وحدها هي من تكفّل برسم ملامح هذه الشخصيات، وإذا به يفاجئنا بأنه اكتفى بوضع اللمسات النهائية لخرائط دروبها، فها هي النسخ الأصلية من شخصياته تعيش حياتها الحقيقية خارج مجاله المغناطيسي للسرد، ويعزّز هذه الفكرة بقوله «الحياة ليست ما يعيشه أحدنا، وإنما هي ما يتذكّره، وكيف يتذكّره ليرويه».

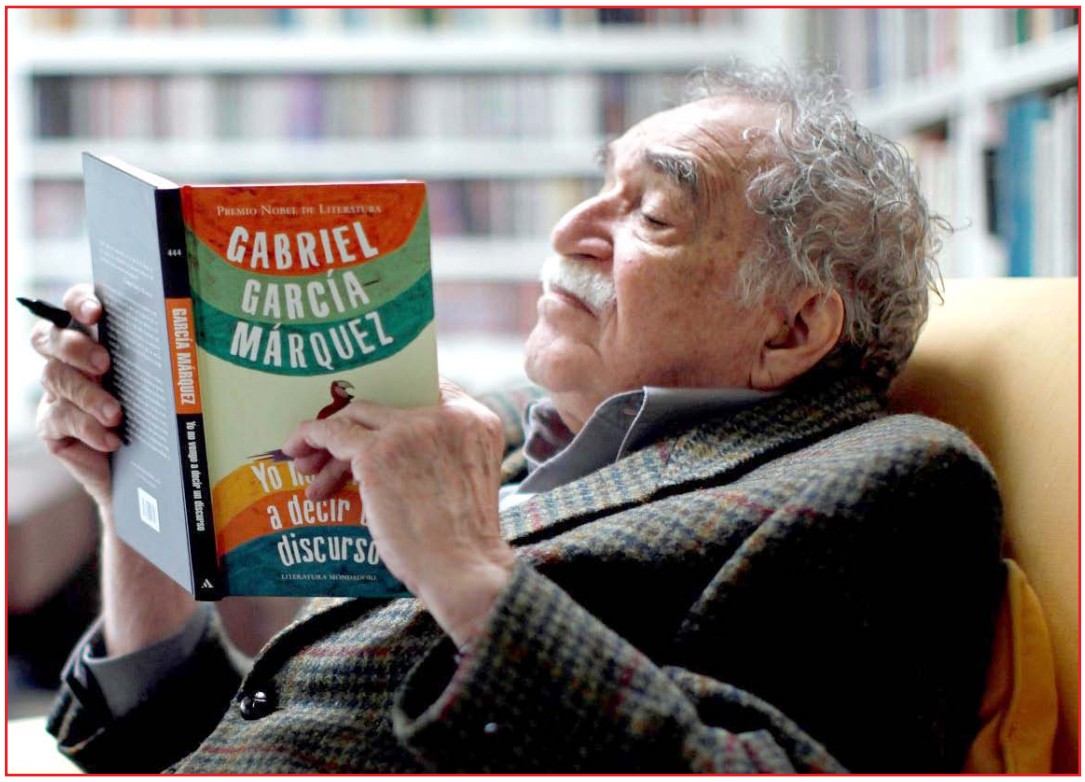

لكن هل سيغيب ماركيز حقاً، أم أنّها واحدة من ألغازه الكثيرة التي أودعها في كتبه التي لا تخلو مكتبة أحدنا من كتاب واحد على الأقل منها؟ لن نتفق كقرّاء بالطبع على إجابة حاسمة عن سؤال من نوع: أين تكمن عبقريته الروائية؟ سيفضّل كثيرون تحفته «مائة عام من العزلة»، الرواية التي وضعته في سجل «نوبل"للآداب (١٩٨٢)، وآخرون سيجدون في «الحب في زمن الكوليرا» (١٩٨٥) أيقونتهم الخاصة، فيما سيدافع بعضهم عن رواية صغيرة بحجم كف اليد هي «ليس لدى الكولونيل من يكاتبه" (١٩٦١). ولكن ماذا بخصوص «الجنرال في متاهته»، أو «خريف البطريرك" (١٩٧٥)، أو «قصة موت معلن» (١٩٨١)، أو حتى قصصه القصيرة التي أودعها في كتابه «عن الحب وشياطين أخرى" (١٩٩٤)؟ ربما لم تعد الواقعية السحرية التي أبحرت خارج ضفاف الكاريبي في خمسينيات القرن المنصرم، إلى كل بقاع العالم، بالألق الذي كانته في العقدين المنصرمين. لكن ماركيز ظلّ يدهشنا إلى آخر سطر كتبه، قبل أن يتوقف عن الكتابة في سنواته الأخيرة بسبب المرض والشيخوخة وداء النسيان قبل أن يرحل ليل أمس في المكسيك.

الآن، حين نستعيد شريط حياته، سنتوقف مليّاً أمام ذلك الشاب البائس الذي اهتدى إلى الرواية بالمصادفة، إثر قراءة «المسخ» لكافكا. أثارت الجملة الأولى في الرواية لديه ارتعاشة غير مسبوقة «حينما استيقظ غريغوري سامسا ذات صباح، بعد أحلام مضطربة، وجد نفسه وقد تحوّل في سريره إلى حشرة هائلة». هذه الجملة أقنعته بيقين تام بأن يهجر دراسة القانون ويتجه إلى كتابة القصة، قبل أن يغرق في سحر «ماكوندو»، المدينة المتخيّلة في روايته الأولى «عاصفة الأوراق" (١٩٥٥)، وهي النسخة التجريبية من «مائة عام من العزلة" التي استغرق في التفكير بها ١٩عاماً. كما سنجد شخصية والده موظف البرق في «الحب في زمن الكوليرا»، إحدى رواياته النفيسة التي استعاد خلالها قصة حب والديه. ليست الواقعية السحرية إذاً، وعاءً أسطورياً أو خرافياً لمجازفات الروائي التخييلية، بقدر ما هي حقيقة ملموسة تفرزها تناقضات الحياة في أميركا اللاتينية، إذ تتناوب المعجزات والعجائب في فضاء واحد. لذلك لن نفاجأ كيف طارت «ريميدوس» الجميلة في الملاءات إلى السماء، ولن نستغرب حكاية ساعي بريد وقع في حب فتاة لمحها من وراء نافذة، فظل ينتظرها «ثلاثاً وخمسين سنة وستة شهور وأحد عشر يوماً بلياليها»، أو كيف يبيض الدجاج مرتين كل يوم. عدا فرانز كافكا، ووليم فوكنر، وجوزيف كونراد، يدين ماركيز إلى جدته، في المقام الأول، في استعارة المفاتيح الأولى لحكاياته، كما يعترف بأنّ «نصف الحكايات التي بدأت بها تكويني سمعتها من أمي. وهي لم تسمع مطلقاً أي كلام عن الخطاب الأدبي ولا عن تقنيات السرد ولا عن أي شيء من هذا. لكنها تعرف كيف تهيئ ضربة مؤثرة وكيف تخبئ ورقة آس في كمّها خيراً من الحواة الذين يخرجون مناديل وأرانب من القبعة». هكذا استحوذ على الوصفة السحرية للكتابة، مقوّضاً المسلمات. ذلك أن «قانون الرواية يخترق كل القوانين"كما يقول، وهذا ما أتاح له بناء عمارة سردية متينة محمولة على الفانتازيا والشعر والحبكات الغرائبية. الواقع بالنسبة إليه «ليس مقتصراً على سعر الطماطم والبيض». بنى عمارة سردية متينة محمولة على الفانتازيا والشعر والحبكات الغرائبية

ناهض الاضطهاد والديكتاتورية ووقف إلى جانب القضية الفلسطينية ولعل صورة ماركيز الصحافي لا تقل أهمية عن صورته كروائي. لطالما أشار إلى أهمية التحقيق الصحافي في بلورة مشروعه الروائي ورفده بوقائع كانت بمثابة المادة الخام لنزواته الروائية (حكاية بحار غريق). على أي حال، هو كان صاحب أشهر عامود صحافي لسنوات طويلة في الصحف الناطقة بالإسبانية، وقد جمع ما كتبه في أربعة مجلدات. سوف نتذكّر بعض مقالاته بوصفها قصصاً مكتملة، مثل «طائرة الحسناء النائمة"التي ستقوده إلى استعادة عمل أدبي عظيم للياباني ياسوناري كاواباتا، هو «بيت الجميلات النائمات»، الرواية الوحيدة التي تمنى لو كان هو من كتبها. وسينهي حياته الأدبية بتحية إلى هذه العمل الفذّ عبر روايته «ذاكرة غانياتي الحزينات" (٢٠٠٤) في تناصٍ صريح مع هذه الرواية.

ولكن ماذا عن ماركيز السينمائي؟ علينا أن نتذكّر أن «غابو» أنجز أكثر من ورشة لكتابة السيناريو في مدينة مكسيكو، كانت حصيلتها مجموعة من الأفلام، بالإضافة إلى ثلاثة كتب هي: «كيف تُحكى حكاية»، و«نزوة القصّ المباركة»، و«بائعة الأحلام». هنا نتعرّف إلى مطبخه السرّي، فهو يؤكد على ضرورة الإمساك فجأة باللحظة الدقيقة التي تنبثق منها فكرة «مثل الصياد الذي يكتشف فجأة، خلال منظار بندقيته، اللحظة التي يقفز فيها الأرنب». ويعترف في مكان آخر بأنّ القصة تُولد ولا تُصنع، كما أنّ الموهبة وحدها لا تكفي بالطبع. المهم أن تتعلم كيف تروي الحكاية بخبرة وحب ومن دون ضجر، خلال تسعين دقيقة هي مدة الفيلم. كما يشبّه العمل في ورشة السيناريو بحرب العصابات: «عليها أن تضبط خطواتها على إيقاع خطوات أبطأ شخص فيها ثم تفتح النار».

تمازج الكتابة الصحافية وكتابة السيناريو وكتابة الرواية منحت نصّه السردي ثراءً متفرداً، ينطوي على صورة بصرية، في المقام الأول، كالصورة التي افتتح بها روايته «مائة عام من العزلة»: «بعد سنوات طويلة، وأمام فصيل الإعدام، تذكّر الكولونيل أورليانو بويندیا، عصر ذلك اليوم البعيد، الذي اصطحبه فيه أبوه، كي يتعرّف على الجليد». وعلى ضفة أخرى عمل ماركيز ببسالة على فضح تاريخ الحروب والديكتاتوريات في القارة المشبعة بالأسطورة والأبطال والطغاة. القارة التي لم تحظ ببرهة طمأنينة نتيجة العنف والمظالم، فعاشت عزلة قسرية، إلى أن كسرت قشرة البيضة بصناعة الجمال، لجعل الحياة معقولة. كما تبرز ثيمة أخرى في أعماله هي تمجيد الحب، فهو يرى أنّ الإنسانية قد استنفدت احتياطها من الحبّ الشهواني منذ حقبة الستينيات، وقد آن الأوان للالتفات جدياً إلى قوة المشاعر وخزّان الرومانسية، وإلا ما تفسير عودة روايات الحب إلى مكان الصدارة في المبيعات؟ الحروب والعنف والعزلة، فرضت نصاً آخر يعيد الاعتبار إلى معجم العشق، وها هو يهتف في إحدى مقالاته «لقد كنت مؤمناً على الدوام بأنّ الحب قادر على إنقاذ الجنس البشريٍ من الدمار وهذه العلائم التي تبدو ارتداداً إلى الوراء هي على العكس من ذلك تماماً في الحقيقة: إنها أنوار أمل».

في روايته «الحب في زمن الكوليرا»، يبتكر كيمياء عشق فريدة. بعد طولٍ انتظار، ستبحر سفينة العاشقين بعيداً من حمّى الكوليرا إلى الأبد، بقوة الحب وحدها، هذه الشحنة المتأججة كانت الوقود السحري كي تستمر السفينة في إبحارها في المجهول، ذهاباً وإياباً. لا تتوقف فضيلة ماركيز عند اختراع الحكايات الممتعة التي تلقفتها أجيال من القراء بشغف، بل في مواقفه المناهضة للاضطهاد والعنصرية والديكتاتوريات المتناسلة في جغرافيات العالم. موقفه المنافح عن القضية الفلسطينية، واحد من مواقف كثيرة مضيئة في سيرته الحافلة بالمبادرات الخلّاقة. في أحد خطاباته الواردة في كتابه الأخير «لم آت لألقي خطاباً»، يتطلع إلى الألفية الثالثة بعين قلقة، معتبراً القرن العشرين أشدّ القرون شؤماً، بوجود كارثة كونية على الباب تتمثل في خمسين ألف رأس نووي جاهزة للاستخدام. لكن ما قد يخفّف نسبة الهلاك والكوارث، وفق ما يقول، هو الاحتياطي الحاسم من الطاقة لتحريك العالم باستثمار «الذاكرة الخطرة لشعوبنا»، والتراث الثقافي الهائل، وتصريف الطوفان الإبداعي الجارف بوصفه ثقافة مقاومة واحتجاج، «لا يمكن أن يروضها النهم الإمبراطوري، ولا وحشية الطاغية الداخلي».

عن الاخبار اللبنانية

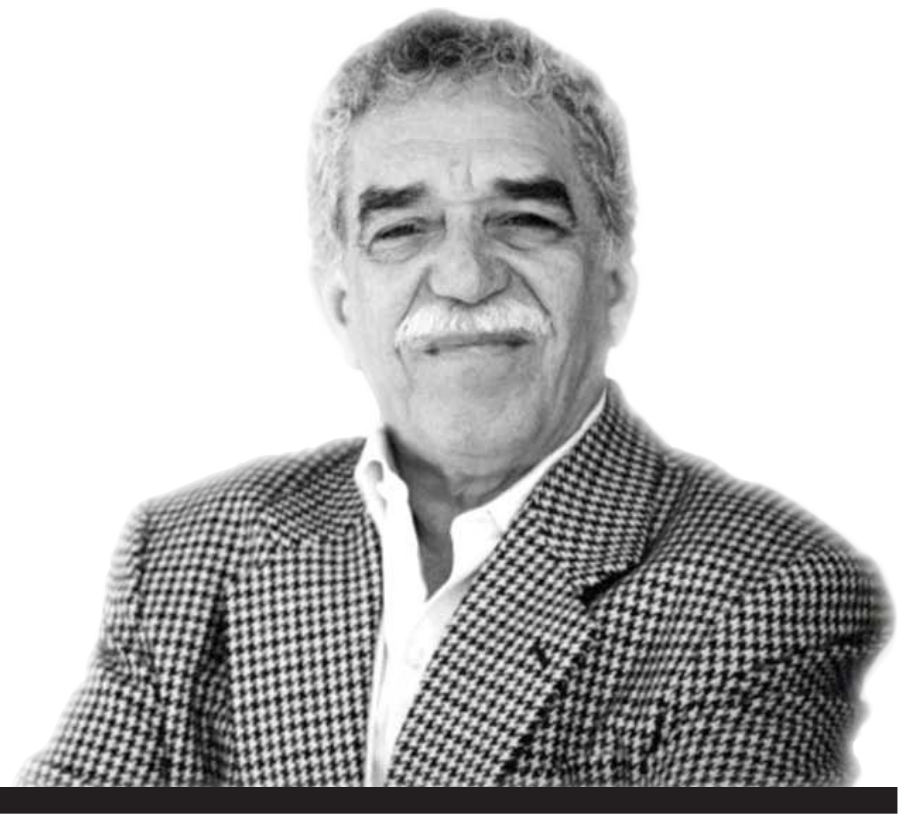

كان الخبر متوقعاً، ومع هذا هزّ الملايين وأبكى كثراً. فقلة من الناس فقط كانت تصدق ان غابريال غارسيا ماركيز يمكن ان يموت. في «غابو»، المبدع الذي نفخ حياة مدهشة في عشرات الشخصيات وكتب روايات تعتبر من أروع ما كتب في القرن العشرين، وانتشرت اعماله في تجوال حول العالم واللغات خالقاً بواقعيته السحرية ومن دونها أحياناً، نصوصاً تشع جمالاً ومكراً وبساطة وشاعرية، لم يكن من الكتاب الذين يمكن الحديث عنهم بصيغة الماضي. وحتى وهو مريض على حافة الخرف في أعوامه الأخيرة، كان كتر يعتقدونه، أو يتمنونه مازحاً. لكنه فعلها ومات. فعلها بعد ان خلّف لنا تلك الروايات والقصص والنصوص الذاتية التي من الصعب ان يشبهها اي شيء آخر.

ابراهيم العريس

"مئة عام من العزلة" لماركيز..

هكذا خرج «غابو» من محليته الى العالم

ومع هذا تبقى لروايته الكبرى «مئة عام من العزلة" مكانتها الفريدة في تاريخ الرواية الحديثة وفي تاريخه الشخصي. وهنا عودة اليها لمناسبة رحيل مبدعها والعالم على وشك الاحتفال بمرور نصف قرن على صدورها للمرة الأولى.

إذاً قبل خمسين سنة تقريباً، أصدر كاتب شاب لم يكن اسمه معروفاً على نطاق واسع، مع انه كان هو الآخر، في الأربعين من عمره، رواية برزت كالقنبلة وسط زحام العالم الأدبي، في زمن كان العالم يشهد فيه تغيرات كثيرة، في السياسة والإبداع، وفي ولادة اجيال جديدة من القراء المتطلبين. كان عنوان الرواية «مئة عام من العزلة». اما الكاتب فلم يعد منذ ذلك الحين في حاجة الى ان يعرّف. بل انه نقل وطنه كله من خانة في هذا العالم، الى خانة اخرى، واضعاً إياه، مرة واحدة على خريطة الأدب العالمي... الكاتب هو، طبعاً، غابريال غارسيا ماركيز، الذي أصبح منذ ذلك الحين علماً من أعلام الرواية في العالم، بل حتى مساهماً اساسياً في ابتكار «صنف ادبي جديد» أطلق عليه اسم «الواقعية السحرية»، وبه رُبط أدب اميركا اللاتينية ككل، بحيث إن كل درر ذلك الأدب صارت تعتبر منذ ذلك الحين جزءاً من ذلك التيار. نعرف ان الأمور تطورت كثيراً بعد ذلك، وأن ماركيز راح يصدر رواية إثر أخرى، وكتاباً بعد كتاب. ونعرف أن أدب ماركيز انتهى به الأمر، عام ١٩٨٢، الى ان يمنح جائزة نوبل للآداب.

وعلى رغم كثرة أعمال ماركيز ونجاحها الكبير، ظلت «مئة من العام العزلة" ذات الحظوة الكبرى لدى القراء في العالم أجمع. ومع هذا، على رغم الإجماع النقدي والشعبي الذي يحظى به هذا العمل الفذ، لم يخل الأمر من نقاد وباحثين يهاجمونه بين الحين والآخر، مثل ذاك الذي كتب في «صنداي تلغراف" يقول انه يعتبره من أكثر الأعمال التي بولغ في تقديرها على مر العصور. او الآخر، الكولومبي الشاب الذي نشر اخيراً دراسة يقول فيها ان هذا العمل، على رغم عظمته هو اقرب الى ان يكون سرداً لتاريخ كولومبيا، منه الى ان يكون عملاً روائياً تخييلياً ينتمي الى اي غرائبية. انهما رأيان بين آراء عدة. ولكن من المؤكد ان الذين يقرأون «مئة عام من العزلة" الآن، أو يعيدون قراءتها مرة بعد اخرى، ينظرون الى الأمور من زاوية اخرى تماماً. فكيف ينظر القراء الى هذه الرواية؟

في المقام الأول على انها عمل إبداعي من النوع الذي يرسم صورة لفترة زمنية طويلة يعيشها مكان معين من العالم. فلا يكون الزمان حقيقياً ولا يكون المكان انعكاساً لمكان حقيقي موجود على خريطة عالمنا. ومع هذا، على هؤلاء ان يصدقوا ماركيز حين يقول ان أدبه إنما يأخذ زوادته من الحياة نفسها. ومن هنا تصبح المعادلة واضحة تماماً كما «اخترع» ويليام فولكنر مدينة جيفرسون، ككناية عن مسقطه في الجنوب الأميركي، ليجعلها مرآة للعالم كما يراه ويريد وصفه ووصف توالي الأجيال فيه، «اخترع» ماركيز مدينة «ماكوندو" على صورة المدينة التي ولد فيها في شمال كولومبيا آراكاتاكا، ليجعل منها، هي الأخرى، صورة لكولومبيا، كما صورة لأميركا اللاتينية كلها. وانطلاقاً من هنا: صورة للعالم. وهذا هو الأهم. فالحقيقة ان ماركيز في «مئة عام من العزلة" قدم نصاً كونياً، وإن كان أطّره ضمن واقع محدود ومحدد. من هنا، إذا كان صحيحاً ان الكاتب يقدم في هذه الرواية كناية عن تاريخ محدد لبلد محدد، فإن من الصحيح ايضاً انه هنا يعيد تركيب سفر التكوين كله. ذلك ان أسرة بوندييا، التي يتابع ماركيز سيرة حياتها، فرداً بعد فرد وجيلاً بعد جيل خلال قرن من الزمن تقريباً، تكاد تكون هنا صورة عن جانب من جوانب النوع الإنساني كله. نحن هنا امام مفهوم الأسرة و «الساغا» العائلية، لكننا ايضاً امام ملحمة الإنسانية ككل، من خلال ثلاثة عناصر اساسية من عناصر تاريخ هذه الإنسانية: مسألة السلطة، قضية العلم ومسألة العلاقات العائلية. وبهذا تتحول «مئة عام من العزلة" من ملحمة تاريخية الى ملحمة عن التاريخ. وفي هذا الإطار، لا تعود سلالة بوندييا هي التي تحتل الواجهة، بل التفاصيل الصغيرة، مثل دور الزائرين الغجر الموسميين الذين، حين يأتون مرة في كل سنة ليخيّموا قرب البلدة، يحملون معهم العلم والحداثة الى عالم رتيب كان من شأنه لولاهم ان يبقى على دورته الحياتية البيولوجية محروماً من تلك الحداثة. وفي يقيننا ان اختيار ماركيز لهذا التحديث يأتي من طريق الغجر، أي المهاجرين الغرباء، أمر له دلالة هامة من الصعب على المرء ان يفهم اليوم لماذا غابت عن اذهان كثر ممن كتبوا عن «مئة عام من العزلة" طوال خمسين سنة، ولا سيما من الذين فضلوا، لأسباب ايديولوجية غالباً، ألا يروا في هذا العمل المتعدد الطبقات – كما يجدر، بكل عمل فني كبير ان يكون – سوى حكاية ديكتاتورية بونديا والعنف وضروب القتل. هذه كلها موجودة بالطبع ولا يمكن نكرانها، وهي تشكل من دون ريب هماً اساسياً من هموم الرواية ومن هموم ماركيز. كل هذا صحيح، ولكن صحيح ايضاً ان الكاتب جعل هذه المسألة مسألة مهمة في نصه، لكنه لم يحاول ان يسبغ عليها سوى اهمية جزئية، لأنه – وهو الذي خص مسألة الديكتاتورية لاحقاً بكتب أخرى له أبرزها «خريف البطريرك" – إنما كان يشاء لـ «مئة عام من العزلة" ان تكون شيئاً اوسع من ذلك بكثير. وهذا ما كانته بالفعل. وبقيت عليه حتى اليوم: رواية سيرورة البشرية، تختلط فيها القضايا الكبيرة والصغيرة، السحر والواقع، المدينة والعالم، السلطة والعلم، الحب والنزعات الروحية... وصولاً الى كل ما كان يمكن خياله الكبير ان يبتكره، مثل مشهد ريميديوس وهي تطير صعداً في السماء.

في هذه الرواية اراد ماركيز ان يخلق،

كتابة، معادلاً للعالم الذي نعيش فيه، وأن يكوّن عالمه على نسق التكوين الذي يتحدث عنه السفر الشهير. بالنسبة إليه ليس الأدب صورة للحياة. بل هو حياة أخرى. ومن هنا حين سئل ماركيز ذات مرة كيف يجرؤ على ان يصف أدبه بأنه أدب الحياة والحقيقة، هو الذي جعل احدى شخصياته تطير في الهواء ناقضة قانون الجاذبية، ابتسم باستغراب وقال لسائله: «لكن هذا موجود!» وأين هو موجود؟ سأله الآخر باستغراب. فسأله ماركيز: من أين جئت به أنت؟ فقال الآخر: «من روايتك" قال ماركيز: «أوَجدته في الرواية؟». «أجِل» رد الآخر، فاختتم ماركيز الحديث قائلاً: «ألم أقل لك انه موجود في مكان ما...».

طبعاً، هذا الكلام اعتبر على لسان ماركيز يومها نادرة طريفة... لكن ماركيز لم ينظر إليه على هذا النحو، بل اعتبره تعبيراً عن نظرته الى الأدب وإلى الفكر في شكل عام، على انه مكان لخلق حياة موازية للحياة... تكون احياناً أكثر حقيقة من الحياة نفسها. والواقع ان ما يقوله ماركيز هنا تعليقاً على «مئة عام من العزلة" لا يحتاج قارئ هذه الرواية الى ان يسمعه منه، لأنه – أي هذا التأكيد – عدوى تنتقل الى القارئ وهو يقلّب صفحات هذا العمل الفذ... عدوى في يقيننا انها هي التي أعطت «مئة عام من العزلة" قوتها وصدقيتها، ومكنت الشاعر بابلو نيرودا من ان يقول عنها حين قرأها للمرة الأولى، وكان العالم بالكاد سمع باسم غابرييل غارسيا ماركيز: انها أعظم نص كتب باللغة الإسبانية منذ «دون كيشوت».

عن جريدة الحياة اللندنية

عن ماركيز ونزار قباني

«أرادت المجلة العربية المعروفة أن تقدم تحقيقا متميزا في مناسبة غياب شاعرنا الكبير نزار قباني.. بعد مشاورات عاجلة رُئي أن من الضروري جدا الاتصال بأكبر الكتاب العالمين الأحياء ممكن يمكن لشهاداتهم أن تتناسب وهذا الحدث الجلل، واستقر الأمر على أن يتم الاتصال فورا بجارسيا ماركيز وكذلك الشهير جدا جورج أمادو.

أمكن الحصول على أرقام هواتفهم إلا أن المحرر لم يراع فروق التوقيت، هكذا تم الاتصال بمسكن ماركيز السادسة صباحا: استيقظ سكرتير ماركيز من نومه وتناول سماعة الهاتف.. قال المحرر: «نحن مجلة كذا.. ونريد الحديث مع الكاتب الكبير جارسيا ماركيز».

قال السكرتير: كيف؟ إنه نائم الآن ولا نستطيع إيقاظه. قال المحرر عبارة إنجليزية معناها: ولكن نزار قباني.. تعيشون أنتم. فقال السكرتير: ماذا تعنون بأن نعيش نحن؟ نعني أن نزار قباني قد مات.

السكرتير شعر بأن شيئا خطيرا حدث، وقام بإيقاظ مركيز الذي أمسك السماعة:

من؟

نحن مجلة كذا.. نحدثكم من العاصمة كذا

ماذا تريدون؟

نريد أن نبلغك أن نزار قباني قد مات

هذا شيء مؤسف... من هو مستر كباني؟

إنه نزار قباني...الشاعر العربي الكبير

عن ماذا كان يكتب؟

- كان يكتب عن المرأة والحب.. كما أن له قصائد سياسية مهمة جدا.

قال ماركيز:

- ولكن كل الشعراء يكتبون عن المرأة والحب، والسياسة أيضا.

- هذا صحيح، ولكن هذا أكبر شاعر عربي معاصر.

- مادام الأمر كذلك، أرجو أن تبلغ تعازي إلى السيدة زوجته.

- الحقيقة أن زوجته توفيت في حادث أليم.

- هذا شيء مؤسف. هل عنده أبناء؟

- عنده.

- إذن بلغهم تعازي.

- كنا نريد منك شهادة قصيرة حول هذا الأمر.

- ولكنها السادسة صباحا الآن، والحقيقة أنك أقلقتني».

هذا جزء كبير من قصة رائعة للكاتب المصري الراحل إبراهيم أصلان في «خلوة الغلبان».

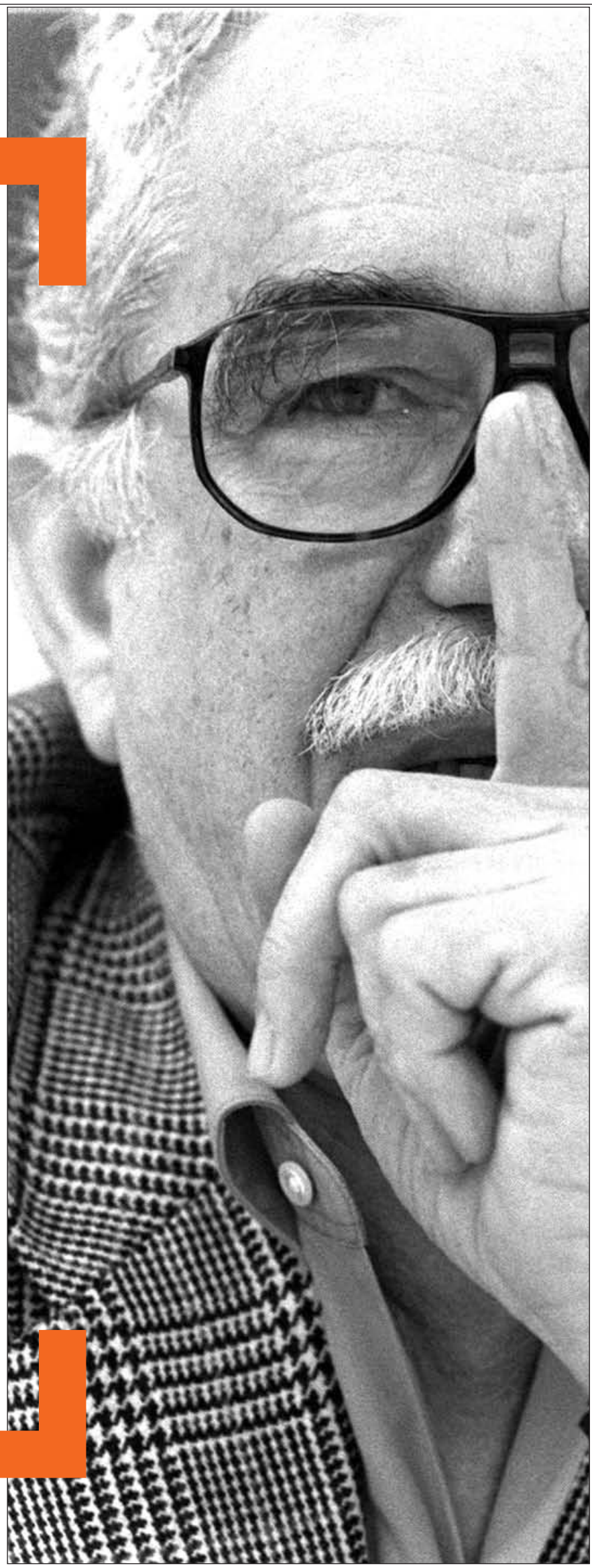

قالوا في ماركيز

ماريو باغاس يوسا

«لقد مات كاتب عظيم، ساعد بأعماله على شيوع أدبنا الإسباني وإبراز أهمية لغتنا».

إيزابيل اليندي

«إنه خبر غاية في الحزن... لقد تأثرنا جميعا بأعماله». وكتبت الفنانة شاكيرا: «من الصعب علي أن أودعك، لأنك قد منحتنا الكثير، ستخلد في قلوبنا نحن الذين أحبوك وأعجبوا بك».

الرئيس الفرنسي هولاند

«إن ماركيز منح الأدب الإسباني أحد أروع أعماله وهو رواية (مائة عام من العزلة)».

الرئيس الأميركي أوباما

عبر عن أسفه لوفاته وقال: «لقد خسر العالم واحدا من أعظم الكتاب، وواحدا من الكتاب المفضلين عندما كنت شابا». ووصفه الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو بأنه «صديق للزعماء الثوريين». وكتب زعيم الحزب الاشتراكي الإسباني ألفريدو بيريث روبالكابا أن ماركيز «من كتابه المفضلين له وللملايين من القراء».

الاتحاد الأوروبي: أعماله جعلت عالمنا أكثر ثراء

قدمت المفوضية الأوروبية ببروكسل التعازي في وفاة الأديب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز. وقال رئيس المفوضية الأوروبية مانويل باروسو في بيان إنه تلقى بحزن شديد نبأ وفاة ماركيز، «الذي كان صوت أميركا اللاتينية وأصبح صوت عالمنا. لقد جعلت أعماله عالمنا أكثر ثراء وبفقدانه سنكون أكثر فقرا ولكن أعماله ستدوم».

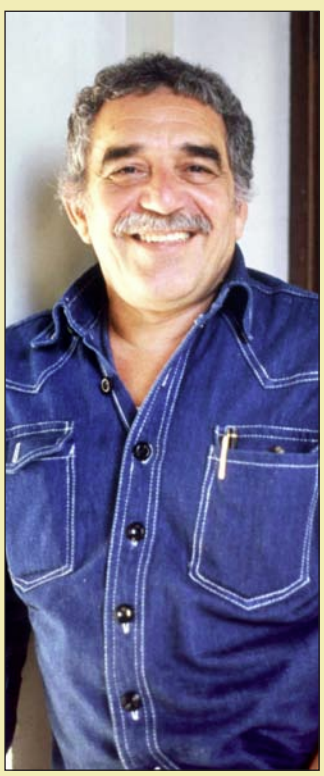

ماركيز الكاتب الجيد حين يرحل

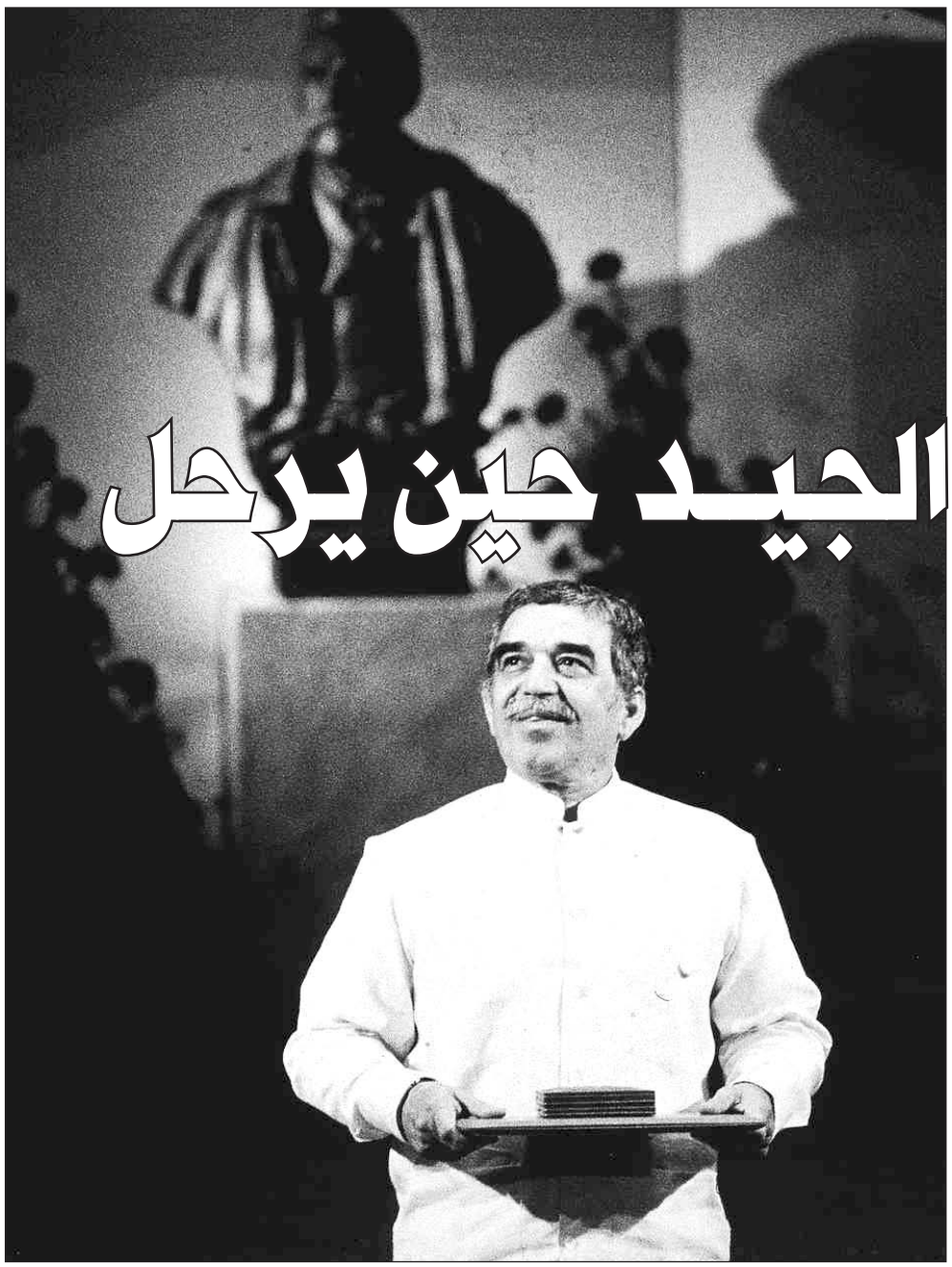

أمير تاج السر

في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، وفي بداية تعرفي إلى سكة الكتابة السردية، بعد أن ظللت أكتب الشعر منذ الطفولة، وكنت طالبا في مصر، أصابتني حمى القراءة العنيفة لكل ما كتب من قصة ورواية ونقد، سواء أن أنتج عربيا أو ترجم لنا من لغات أخرى. لم تكن هناك بالطبع إنترنت ولا وسائل اتصالات من أي نوع ليتعرف المرء عن طريقها إلى الطرق التي تؤدي إلى أهدافه، مثل أي الكتب يقرأ، وأي الأفلام السينمائية يشاهد، ومن هم الكتاب الجديرون بمتابعتهم.

لكن كانت توجد المقاهي الثقافية، أي المقاهي التي يرتادها المثقفون في وسطالقاهرة، ليجلسوا ساعات، يستمعون فيها إلى بعضهم، ويتناقشون في إصداراتهم وإصدارات غيرهم من تلك التي قرأوها وكونوا رأيا، ولم تكن تلك الجلسات يومية في الغالب، ولكن مرة أو مرتين في الأسبوع، وإن كان البعض يأتون بشكل شبه يومي. وقد نوهت كثيرا إلى أن تلك المقاهي كانت الفيسبوك، وتويتر، الخاص بذلك الزمان، حيث يمكن العثور بسهولة على أخبار الثقافة ونقلها مباشرة إلى الصحف، ويحدث في كثير من الأحيان أن ينطق أحدهم بفكرة ما، لم تصبح نصا بعد، ليجدها في اليوم التالي، تحتل مساحة لا بأس بها في صحيفة أو مجلة، بوصفها خبرا عن عمل منجز تحت الطبع، وأذكر في تلك الأيام أن ذكرت لعدد من الذين يجلسون معي إنني أكتب نصا اسمه: ذاكرات ميتة، وكان ذلك في الحقيقة مجرد فكرة خطرت ببالي، لم تنجز قط، لكن وجدت بعد عدة أيام، في إحدى الصحف اليومية، خبرا عريضا عن الذاكرات الميتة التي ستصدر عن إحدى دور النشر قريبا.

إذن كانت ثمة وسيلة لمعرفة ما يجري في المحيط الثقافي، وعن طريق تلك الوسيلة، وتزامنا مع حمى القراءة التي ذكرتها، دخلت آداب كثير من البلدان إلى حياتي كقارئ، ومنها أدب أمريكا اللاتينية، وعلى رأسه ما أنجزه غابرييل غارسيا ماركيز. دخلت روايات مثل: جنازة الأم الكبيرة، ليس لدى الكولونيل من يكاتبه، إيرندير الغانية، مئة عام من العزلة، سواء في طبعات عربية أو إنجليزية، وتأتي بعد ذلك في فترة التسعينيات وبعد أن تركت مصر، باقي أعماله كلها، وحتى سيرته الذاتية التي حملت عنوان: عشت لأروي، أو تلك التي كتبها جيرالد مارتن، بعد أن أمضى سنوات طويلة في مصاحبة ماركيز، والاستماع لشهاداته وشهادات أصدقائه، في شتى الشؤون.

لقد أردت القول، إن ماركيز كما أعتقد، ولعل الكثيرين يوافقونني على ذلك، كان الأجدر وسط ذلك الزخم القرائي، بسرقة أي قارئ من الكتب الأخرى لآخرين، وتوظيفه في قراءته وحده. لم يكن ديكتاتورا عنيفا في ذلك، ولكن القارئ يستجيب برغبته، وكامل إرادته، ويصبح من الصعب أن ينتزع نفسه من عالمه بعد ذلك، ليغرسها في عوالم أخرى. الدهشة، الغرائبية التي تصبح حقيقة حين تعجن بفن داخل نصوص حقيقية. رواية القصص بانسيابية غريبة، والحوادث النادرة كأنها تحدث كل يوم، فالرجل الكبير حين يصاب بالخرف، يربط إلى جذع شجرة في حوش البيت، ولا يكون ذلك غريبا، والخادم يعود إلى بيت سيده بعد سنوات من الغياب ليردد إنه جاء ليشارك في جنازة السيد، ويكون السيد في تلك اللحظة في كامل صحته، ويتناول عشاءه، ثم ليموت في اليوم التالي، ويشارك الخادم بالفعل في الجنازة. إيرندير التي كانت من شدة ما كانت ترهقها جدتها، ساعات نومها كاملة وهي تعمل، ثم يحترق البيت من شموعها أثناء نومها النشط، وبعد تقدير خسائرها، توظفها الجدة عاهرة متنقلة، لتجميع مبالغ تعوض خسائرها.

لقد كان الخيال هو مفتاح الإدهاش عند ماركيز، وشخصيا لا أنسجم مع أي عمل روائي أو قصصي لا يتبل بالخيال، ودائما ما أقول، إن القراء لا يحتاجون لمن يكتب لهم حياتهم اليومية كما يعيشونها، ولكن تلك الحياة الموازية، التي ربما كانت ستكون حياتهم، وربما هي أحلامهم البعيدة التي لن تتحقق، ماركيز صنع ذلك، وكثيرون غيره من كتاب أمريكا اللاتينية والعالم صنعوا ذلك، فقط تأتي الريادة، الجرأة التي كسرت حاجز الخوف من التحديث، واستخدام الخيال في أقصى طاقته. نعم فقصة مثل قصة الملاك المسكين الذي عثر عليه في حوش أحد البيوت،لا تكتب إلا والخيال في قمة اشتعاله، وقصة مثل: أجمل غريق في العالم، كانت درة لأنها علقت على جيد الكتابة بقلادة من الخيال الخصب.

لقد كان ماركيز معلما كبيرا بلا شك، انتقل بموهبته وحدها، من تشرده الأخاذ في أوروبا خاصة باريس، في فترة من فترات حياته، إلى استقراره الأخاذ، في أي وجدان تهزها الكتابة الجيدة، وأي موهبة أخرى، تود أن تصبح موهبة مؤثرة. ولعله الكاتب الوحيد الذي يجري اسمه على كل لسان حين تذكر الملكة الكتابية المؤثرة، ولذلك لم يكن غريبا، أن يتم اختيار ملحمته: مئة عام من العزلة، من قبل نقاد وقراء، ومتخصصين، الرواية الأكثر تأثيرا في العالم، وهي كذلك لأن لا أحد قرأ مئة عام من العزلة إلا ضحك أو بكى أو استغرب أو اندهش، أو اضطرب. وفي رأيي إن: الحب في زمن الكوليرا، ملحمة أخرى لا تقل تأثيرا عن مئة عام من العزلة، لكن الأخيرة أضاعت شيئا من شهرتها، لأنها أتت أولا، ولأنها كانت حاضرة، كشهادة عظيمة أهلت المعلم ماركيز لجائزة نوبل.

منذ سنوات كتب ماركيز روايته الصغيرة: ذكرى غانياتي الحزينات، متأثرا برواية الياباني ياسوناري كاباواتا: الجميلات النائمات. كما هو معروف، وهذا تأثر لم ينكره ماركيز، حين كتب فكرة يا سوناري قصة قصيرة أولا عن المسافر الذي يراقب نوم امرأة جميلة، تجلس بجانبه في الطائرة، ثم كتبها رواية بعد ذلك. شخصيا أعتقد وربما يخالفني آخرون، إن غانيات ماركيز الحزينات، لم تكن رواية أصلية، ترتدي ثياب خياله البديع، ليست مثل أجمل غريق في العالم، ولا أحداث موت معلن، حين تكون الفكرة ضربة إدهاش موفقة، ارتدت ثوب خيال مطرزا في معمله الشخصي، بل صناعة لنص مهما حاول لن يخرج عن تساؤل الناس، مقارنته بالنص الأصلي البديع الذي كتبه كاباواتا. لقد كتبت في تلك الأيام عن شيخوخة الكتابة، وإن المبدعين أسوة بغيرهم ينبغي أن يتقاعدوا عن الكتابة حين تشح هرمونات الأفكار أو تنعدم. عموما ذلك لم ولن يقلل من حجم كاتب مثل غارسيا، لأن الكاتب الجيد، يحال لتجربته كاملة لا لنص عاق من نصوصه، كتبه تحت ظروف معينة.

المحصلة، إن غابرييل غارسيا ماركيز، سيد الكتابة، أستاذ الحكايات، قد رحل، وخسارة مثل هذه نحسبها من الكوارث.

× روائي سوداني

عن جريدة الاتحاد الاماراتية

العالم يبكي ساحر الرواية غارسيا ماركـــيز

باسل أبو حمدة

تحت وابل من مطر السادس من مارس ١٩٢٧، ولد الأديب الكولومبي غابرييل خوسيه غارسيا ماركيز، وأول من أمس، توفي صاحب نوبل عن عمر ناهز الـ ٨٧ عاماً في ضواحي مكسيكو سيتي، رحل الصحافي المخضرم وأحد أعظم كتاب الأدب العالمي، تاركاً غصة في حلوق قرائه، حيث خيمت هالة من الحزن والدموع على شوارع بلده الأم، ومدن أميركا اللاتينية، كما شملت بقية العالم، حيث امتدت كتاباته لتلامس مشاغل القراء في كل مكان.

الجرس الأول

مؤلف الأعمال الخالدة مثل «مئة عام من العزلة»، و«الحب في زمن الكوليرا»، و«ليس للكولونيل من يكاتبه»، و«خريف البطريرك" و«قصة موت معلن»، ولد في أراكاتكا الكاريبية، القرية الكولومبية التي تقرع فيها الأجراس وتضيء الشموع وتنتثر الورود الصفراء حوله منزل العائلة حالياً، يوم أحد غائم سجل نقطة البداية لحياة طفل عاش طفولة عاد إليها مرات عديدة.

دخل عالم الأدب في عام ١٩٤٧ مع قصته «الإذعان الثالث»؛ جاء المجد في عام ١٩٦٧ مع «مئة عام من العزلة»، وتأكيده في عام ١٩٨٢ مع جائزة نوبل للآداب.

الآن، ذهب ميلكيادس بأسطورته المذهلة، ليبقى معنا رجل خلق شكلاً جديداً من أشكال السرد، كاتب بلغة كونية خاصة، جال تخوم الأدب، صحافي أحب مهنته لكنه كره الأسئلة، قدر الصمت، وبسحر خلاب أسر قلوب وعقول المثقفين والسياسيين، وسحر الملايين من القراء في جميع أنحاء العالم.

حزن الرفاق

أول من أمس، وما إن انتشر خبر وفاة غابرييل غارسيا ماركيز، حتى عمت العالم موجة من الحزن وتتالت كتابات وتصريحات السياسيين والمثقفين بغض النظر عن جنسياتهم، وفي مقدمتهم الأديب البيروفي ماريو فارغاس يوسا الحائز على جائزة نوبل في الآداب، الذي اصدر بيان تعزية جاء فيه، «توفي الكاتب العظيم الذي منحت أعماله الأدب في اللغة الإسبانية انتشاراً واسعاً مثلما أعطت هيبة للأدب في جميع بلدان العالم، رواياته ستبقى على قيد الحياة وستكسب مزيداً من القراء في كل مكان. أبعث بالتعازي لكل أفراد عائلته».

صداقة وطيدة أيضاً جمعت المطربة الكولومبية شاكيرا بالكاتب غابرييل غارسيا ماركيز، الذي كتب عنها تحقيقاً مطولاً، وكان لها معه لحظات عظيمة كان من الممكن أن تشكل أحد أكثر حكايات غابو خيالاً، وليس حدثاً من الحياة الواقعية، بيد أن الواقع تجاوز الخيال في هذه الحالة.

شاكيرا غردت على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» وكتبت كلمات فيها من الدفء الكثير حول شعورها اتجاه الأديب الراحل، «عزيزي غابو، قلت ذات مرة إن الحياة ليست ما عاشها الإنسان، ولكن ما يتذكره وكيف يتذكره ليرويه، حياتك عزيزي غابو نتذكرها كهدية فريدة لا تتكرر، وبوصفها الأكثر أصالة من بين جميع الحكايات..».

الشعوب قبل الحكومات في أميركا اللاتينية أعلنت الحداد في وجدانها قبل أن تنقله وسائل الإعلام في الأماكن العامة، ومن بينها الحكومة الكولومبية التي أعلنت الحداد لثلاثة أيام على وفاة ماركيز، وقال الرئيس الكولومبي خوان مانويل سانتوس، «تكريماً لذكرى غابرييل غارسيا ماركيز، أعلنت الحداد الوطني لثلاثة أيام..غابو المعبر الأمثل عن بلد يمثل الواقعية السحرية بذاته، بلد يمازج الفرح بالألم، والشعر بالصراعات».

أجمل غرق

بين الحقائق، والرغبات، والأحلام، الأفراح، والامتنان، والخيال، وقبل كل شيء، من خلال الجنة الفريدة من نوعها في كتاباته، يمكث غابرييل غارسيا ماركيز الآن في نفس المكان الذي أوصل إليه ستيفان في قصته التي لا تنسى «أجمل غرق في العالم»، بعد أن فتح أهالي البلدة «الصدوع الأولى للدموع في القلب»، لأنه بمجرد أن «أصبح موته يقيناً لم يعودوا بحاجة إلى أن ينظروا إلى بعضهم بعضاً ليدركوا بأنهم ليسوا كاملين»، هناك حيث الريحُ مروضة والشمس تشرقُ كثيراً باسم الشعب الذي كان يحلم به.

عن جريدة الغد الاردنية

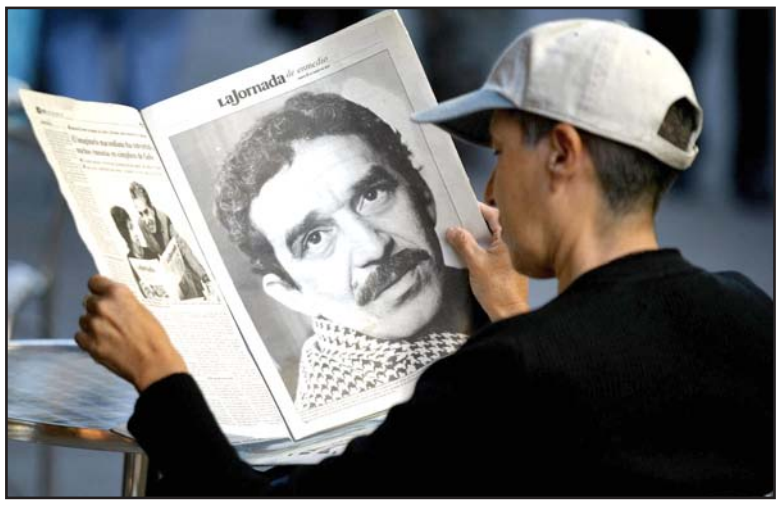

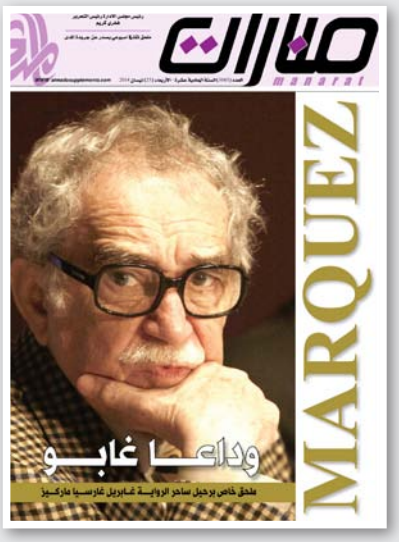

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

رسالة الـوداع

غابريل غارسيا ماركيز

عندما شعر أنه على وشك الغياب، كما أعتذر من «لوموند" التي نشرتها. إليكم ترجمتها:
«إذا منحني الله وقتا إضافيا، فسوف أستغله بأفضل ما أستطيع. لن أقول، على الأرجح، كل ما يجول في خاطري، لكنني سوف أكون أكثر تمعُّنا فيما أقول.
سـوف أعطي الأشياء ليس الأهمية التي تستحقهـا، بل التي تتخذها عند التعبير عنها.
سـوف أنام قليلا، وأحلـم أكثر، لأنني أعرف أن كل دقيقة نغمض فيها عيوننا نضيع ٦٠ ثانية من الضوء. سوف أمشي حين يتوقف الآخرون، وأفيق عندما ينامون.
إذا أعطـاني الله القليل من الأيـام فلسوف أرتدي الثياب البسيطة. وسوف أضع نفسي تحت الشمس، تاركا تحت رحمتها، ليس عراء جسدي فقط، بل عراء نفسي أيضا.
وسـوف أقول لجميع الرجال كم هم على خطأ عندمـا يعتقدون أنهم توقفوا عن الوقوع في الحب، لأنهم تقدموا في السن، لأنهم لا يدركون أنهم تقدموا في السن عندما توقفوا عن الوقوع في الحب.
سوف أعطي أجنحة للأطفال، لكن سوف أترك لهم أن يتعلموا كيف يحلِّقون.
وللشيوخ سوف أقول إن الموت لا يأتي مع العمر، ولكن مع النسيان.
لقد تعلمت مثلكم الكثير. تعلمت أن الجميع يريدون أن يعيشوا على قمة الجبل، لكنهم لا يعرفون أننا نحصل على السعادة في الرحلة إليها، وبأي طريقة قطعناها.
تعلمت أنه عندما يمسك المولود الحديث بأصبع والده، فقد أسره مدى العمر.
تعلمت أن الرجل يملك الحق والواجب في النظر إلى رجل آخر من فوق، فقط عندما يمد يده ليرفع الآخر عن الأرض.
قل دائما ما تشعر به، لا ما تفكر فيه. إذا كنت أعرف أن اليوم هو آخر يوم أراك فيه نائمة (مخاطبـا زوجته مرسيدس) فسوف أغمرك بكل حنـان، وأقول لك إنني أحبك، وسوف أضرع إلى الله أن يجعلني حارسك.
إذا عرفت أن هذه آخر دقائق أراك فيها فسوف أقول لك إنني أحبك.
هنـاك دائمـا غد. والحياة تمنحنا فرصة أخرى لكي نفعـل الأشياء كما ينبغي، ولكن إذا كان هذا يومي الأخير أحب أن أقول لك كم أحببتك، وإنني لن أنساك أبدا.
أبق الذين تحبهم على مقربة منك. اهمس لهم كم أنت في حاجة إليهم وكم تحبهم. عاملهم جيـدا. خذ كل الوقت لكي تقول لهم: (أنا آسف) و(سامحوني) و(عفوا) و(شكرا)، وكل تلك الكلمات المحبة التي تعرفها.
لا أحـد يمكـن أن يعرف أفكارك السرية. لذلك اطلب مـن الله أن يمنحك الحكمة، وحاول أن تعبِّر عن تلك الأفكار».